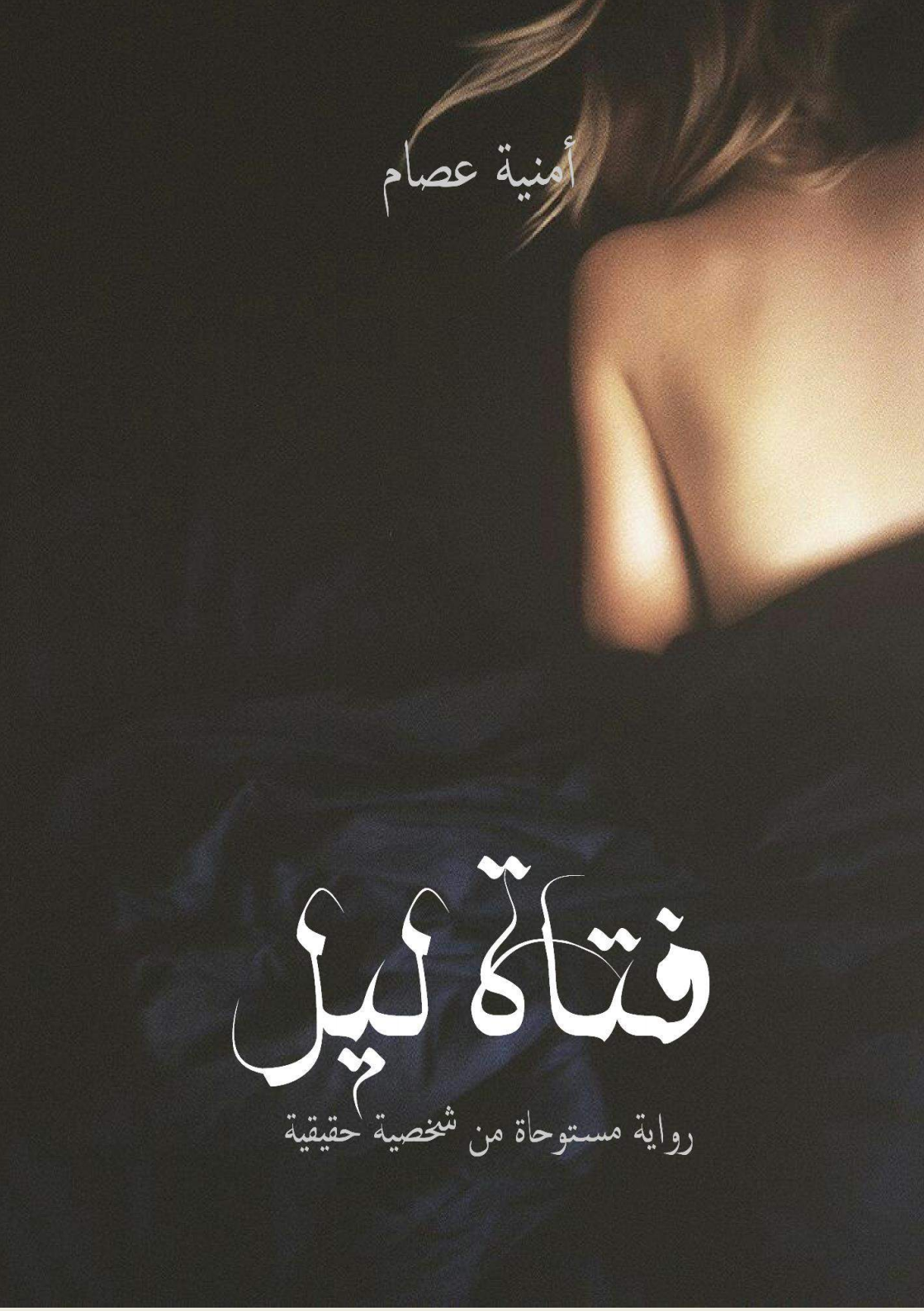

أمنية عصام
فتاة ليل
رواية مستوحاة من شخصية حقيقية

فتاة ليل

لكني لا اجد نفسي سوي بتلك الاماكن، عندما بلغت قالوا لها ارتدي الحجاب ولا تظهري مفاتن جسدك عندما دخلت الجامعة وقعت في شر أعمال والديها، تلك الأنثي.. أحبته، وأغرمت به، فطلب منها أن تعلن توبتها، ابتسمت له وهو لا يعلم أنها، عندما كانت صغيرة، بدأت تسلك طريق الليل، ووجدت نفسها بين الموسيقي والرجال، قالوا لها حرام، حرام أن تهز الأنثي جسدها وتلتوي أمام الأعين

هكذا كانت تحكي فتاة الليل لصحفي.

في هذه الرواية حياة مفصّلة عن عالم الليل كما لم يصوّر من قبل في الأعمال السينيمائية والدراما

هذه الرواية ليست تابعة لأى دار نشر

عن الكاتبة:

أمنية عصام، من مواليد القاهرة مارس 1997. أدرس تجارة وإدارة أعمال، بالسنة الثانية. عملت علي قراءة مواضيع في العلوم والأدب، وقدمت أبحاث فيزيائية بالصف الثانوي عن اختراعات من مادة الجرافين، صنعت موتور صغير في سن السابعة، وفتاة ليل أول عمل روائي لي.

(من سلسلة **الضياع** نقدم لكم أول جزء)

فتاة ليل

مقدمة

حدّقت لمرآه الحمام للحظات قبل أن أغسل يدي بالصابون من بعد التشريح. أخذت أنفاسي بهدوء بعد ما عانيته من يوم طويل في الكلية، حرصت علي غسل يدي وتنظيفها من أي بكتيريا قد تتواجد عليها. مرت دقائق حين انتهيت من غسلها، كانت صديقتي آتية إلي، رأيتها تدخل الحمام بعدي في لهفة لتغسل يدها هي الأخرى، كان هذا في حمام كلية طب جامعة القاهرة، أتي الكثير من الطلاب يأتون ليغسلوا يديهم فقد كان مشغول في تلك الأثناء، تعالي الهمس خلفنا من بعض زميلاتنا في الدفعة بينما كنا نتبادل أن وصديقتي أحداث التشريح وعما حدث، أثرنا الضحك داخل الحمام لكن صوتي لم يعلو، ضحكتي كانت خجولة وأخفيها بيدي دائماً، علي عكس صديقتي أسمعها تطلق ضحكة عالية ليسمعها آخر شخص في ممر الكلية.

خرجنا للتو من الحمام وعلي أذرعنا نحمل المعطف الأبيض نسير به في الممر، انعطفت خطواتنا حتى كنا خارج الكلية، كنت أحمل أوراق السنة الرابعة من كلية طب، بينما صديقتي تحمل أوراق السنة الثالثة، رسبت سنة وربما هذا ما جعل علاقتنا أقوي مما سبق، اتصالاتها بى في الفترة الأخيرة كانت تزداد، وكثيراً ما تطلب مني أن أوضح لها بعض الصفحات. لاحظت أنها دائمة النسيان ومزاجها يتغير ولا أعرف السبب، هي لا تقص علي تفاصيل حياتها ولكن، اعتقدت أن هذا ربما سببه الضغط من الرسوب والامتحانات.

وقفنا عند حدود الكلية وبعيداً عن المستشفي ورائحة المحاليل والجثث ننتظر سيارة أجرة لتقلنا إلي المنزل.

ألتفتت لصديقتي لأراها تشير لسائق أجرة قادم نحونا، غمزت له بمداعبة فضحكت، هي تفعل ذلك دائماً، من الصعب أحياناً أن نجد سيارة تقلنا للزمالك من جامعة القاهرة، ولازلت أجهل السبب.

فتحت الباب الخلفي وجلست علي الأريكة الخلفية للسيارة بينما لحقتني صديقتي وانضمت إلي علي الأريكة، قلت وأنا أنظر للسائق في المرآة:

- الزمالك لو سمحت.

رمقنا السائق بنظرة طويلة في المرآة قبل أن ينطلق بالسيارة، كان يتفحصنا بفضول مما أثار خوفي منه، وما زاد خوفي أكثر أن هناك رجلاً آخر يركب إلي جانبه، عندما نظرت إلي المرآة لأري ملامح الرجل الجالس علي الكرسي الأمامي، بدا لي حزيناً للغاية، عينيه تحمل دمعة علي وشك السقوط، كنت لأسأله، وما أن فتحت فمي شعرت بصديقتي وهي تضربني بمرفقها، فنظرت إليها متسائلة، وجدتها تلف برأسها بعيداً تنظر من خلال النافذة.

ساعة من الزحام مرت في سيارة الأجرة إلي أن وصلت لمنزلي بالزمالك. في أفخم مناطق القاهرة يتواجد منزلي، من إطلالته وواسعة السكن أفضل الجلوس فيه كثيراً وأحياناً ما أرغب بإقامة حفلات فيه، ولكن، كل هذا انتهي من السنة الثانية في الكلية، أتذكر ذلك، ربما ما جعلني إعادة الأحداث صعودي علي سلم العمارة، كنت من سنتين قد اصطحبت معي بعض الزميلات وكنت قد طلبت من والدتي تحضير الغداء لنا، وعندما دخلت المنزل مع صديقاتي وجدت طعام قليل للغاية، حينها أخبرتني أن المال لدينا لا يكفي سوي لنا نحن فقط، شعرت بإحراج شديد

أمام زملائي ولم أعد أتواصل معهم بعد هذا اليوم كما كنا، بعدها بسنة تعرفت علي صديقتي تلك.

فتحت باب الشقة في هدوء ودخلت أضع أغراضي علي طاولة الصالة، البيت كلاسيكي للغاية وكل ما فيه من أثاث فخم للغاية، لكن والدتي لا تريد بيع تلك الأغراض لنحصل علي المال، كلما أتساءل عن السبب تتشاجر معي ولا تخبرني، أذكر أنني حاولت بيع شيء من دون علمها ضربتني بشدة وألقت بى خارج الشقة.

شعرت بالتعب للغاية من بعد المواصلات، فرحت أجلس علي الأريكة في الصالة واستقررت في مكاني، بينما كانت أمي تخرج من غرفتها، في يدها سيجار مشتعل كالعادة. تأملتني قليلاً وكأنها لا تعتاد علي منظري المرهق كل يوم، فنظرت لها بإستغراب وأنا اسألها:

- مش هتعمليلي الغدا ولا ايه؟.
- مش هناكل هنا، إحنا معزومين بره.
- بره؟!.

واعتدلت في جلستي علي الأريكة بينما اقتربت والدتي وجلست جانبي تنفث السيجار في الهواء وبالها مشغول بشيء ما، حتي أنها لم تعطي لي بالاً:

- آه بره، وإحمدي ربنا أننا بنتعزم عشان معدش في فلوس ناكل بيها.

ألتفت نحوها بجسدي لأسألها:

- آه ومين عازمنا المرة دي؟ أوعي يكون اللي في بالي.

نظرت لي وهي تغلق نصف جفنها:

- آه هو. . .

انتفضت من الأريكة ونظرت لها في غضب:

– هو أنتي ليه الموضوع ده علي طول في دماغك! قلتلك مش عايزة اتجوز ومش هتنيل قبل ما أخلص، أنتي شيفاني عندي وقت أذاكر لما اتجوز.

غادرت الصالة من أمامها وأنا علي عدم وعي بنبرة الصوت العالية التي كلمتها بها فصاحت هي الأخرى بنبرة عالية اخترقت حاجز باب غرفتي:

– هتتنيلي غصب عنك.

أخذت نفساً عميق وسرعان ما زفرته من أنفي في غضب. لم أشعر بنفسي حين كنا بالخارج، كنت أرتدي ملابس لا أريد ارتدائها، وأضع عطراً لا أتحمل قطراته علي جلدي، بلا شعرت أنها تحرقني. لا أعلم فيما تفكر أمي، أراها تبتسم لي بين الفترة والأخرى، فأنظر لها وفي عيني توسل لها أن تتركني في شأني وتنزع كل أفكار الجواز من رأسها، لكن هذا لن يحدث أبداً علي ما يبدو.

كانت والدتي تشبهني إلي حد كبير، باختلاف شعري البُني، كانت عينيا تتلون بأزرق البحر، لكن عيني كانت واسعة، تكشف ما بداخلي، بينما أمي كانت عينيها ضيقة وغامضة، لا أحاول قراءة عينيها من عمقها وغموضها، حول تلك العيون الثاقبة تجاعيد عميقة تظهر بوضوح عندما تضحك، والدتي شعرها أصفر، أجعد وطويل، لكنها علي الأقل تهتم بنفسها كثيراً، دائماً ما تتركه منسدلاً علي ظهرها ويبدو ثائراً ومثيراً، أري أن الرجال يعجبون بها لقوامها ونشاطها في سنها، إنها جميلة بلا شك وأورثتني ذلك الجمال الصارخ، أنا علي يقين أن لو هناك رجل طلب منها الزواج لوافقت، لكنها تقول لي من بعد ولادتي لم تعد تخرج من البيت واهتمت بعنايتي. . . تقول لي أيضاً أنها كانت أجمل من ذلك بكثير، ولكن العمر تلك أثره عليها.

لم تتوقف عن الابتسام بخبث، تلك الابتسامة التي لا تظهر فيها أسنانها وتكتفي بمد طرف فمها.

أخذت نفس عميق آخر، أردت بشدة أن أنفخه في وجه الرجل الذي يجلس أمامي هو ووالدته، لكنني اعتمدت علي الصبر في تلك الظروف، وانتظرت معجزة من الله أن يقذف بصاروخ علي المطعم الذي نجلس فيه.

المساء في الزمالك ساحر، حينما تري ضوء القمر ينسدل علي النيل وتتلألأ أشعته علي قمم الموج الصغير، حينها تستمتع بالمظهر وتنعم بهدوء داخلي ينسيك الضوضاء من حولك، ولكن، هذا لم يحدث، رأيت أمي تركلني برجلها في قدمي من تحت الطاولة، تأوهت بصوت منخفض، لعلّي انتبه لما يقال.

اتسعت عيني فجأة، ورأيت الرجل يصطحب والدته بعيداً ليتشاوروا في ركن المطعم، في حين لم أعرف ماذا علي فعله، رغم أنها ليست أول مرة، لكن كنت كالتائهة وقتها.

لفت والدتي رأسها نحوي وقالت في غضب:

- ما تنطقي يا خرسا! إيه بلعتي لسانك؟.

ألتزمت الهدوء كما يجب أن أكون في تلك المواقف، فقد رأيت الرجل يعود للطاولة مع والدته، وأمي اصطنعت ابتسامة واسعة علي اعتقاد أنها ستكمل الأحاديث لكن فوجئنا بالرجل إذ يرتدي معطفه ويستأذن:

-أنا أتبسط معاكم أوي، بس عن إذن حضرتك، لازم امشي دلوقتي، تحبوا أروحكم؟.

- هاه؟ . . . إيه؟.

قالتها أمي وعلامات المفاجأة علي وجهها، لكني كنت لا أبالي حتى أنني لم انظر له، تسمرت عيني أمامي علي طبق شهي ممتلئ بالأكل، إلا أنني لم أشعر برغبة في الأكل منذ أن جلست. شعرت بها وهي تضربني بمرفقها فاتسعت عيني ونظرت لها. همست قربها:

- إيييه يا ماما!.

كنت أعلم أنها تريدني أن أتكلم، لكن لا وقت لأن تلمح لي أكثر من ذلك، فرجعت تنظر إلي الرجل بتردد ورجعت الابتسامة المصطنعة عليها:

- ما لسة بدري، خليك قاعد، أنت مشغول ولا إيه؟!.

ابتسم الرجل وظل واقفاً:

- إحنا هنتصل بحضرتك النهاردة نحدد معاد تاني نتقابل فيه.

ضممت حاجبي في اندهاش بعد سماع ما قاله. هذا غريب، كنت أراه يقف مع والدته وهو غاضب ويشيح بيديه، لغة جسده كانت تنطق بأنه يرفض فكرة الموضوع من الأساس، بلا توقعت أن يرحل ويتركنا ندفع الحساب.

ابتسمت أمي ابتسامة واسعة من قلبها، بينما كان قلبي يخفق من التفكير فيما قد يحدث بالمستقبل!.

رحل ذلك الرجل ولم أفق من أحلام اليقظة المرعبة إلا علي صوت أمي في المطعم:

- مالك يا منيلة؟ الراجل شكله ارتاحلك أهو.

نفيت بانزعاج وقلت وأنا لا أزال أحدق أمامي:

- ماما لو سمحتي!. . . انسي الموضوع ده.

حدّقت لي للحظة، وصفعتني علي وجهي فجأة، شعرت بكفها بقوة يضرب بي، كانت تضرب بكل ما فيها من غضب. رأت عيني تحمران وأوشكت علي البكاء لكني لم أفعل.

نظرت لها بغرابة:

- أنتي بتعملي معايا كده ليه؟!.
- اخرسي!.

هززت رأسي أطرد الصداع منها، وتساءلت كيف لي أن أكون بهذا الهدوء، أردت فجأة الانفجار بالصراخ ولكن كان كل رد فعلي أن غادرت المطعم وتركتها وحدها، لم أري تعبيرات وجهها، كانت تنظر لي بعبوس، أعطيتها ظهري ولم ألتفت خلفي، أخذت مواصلات للمنزل، وما إن فتحت باب الشقة دخلت غرفتي أخلع الملابس من علي جسدي باندفاع غاضب، كنت لأقطعها لكنني لا أريدها أن تري أثر غضب فتثير علي، وفرصتها في الغضب والضرب بالمنزل أقوي من أن أكون خارجه.

خطفت أنفاسي عندما سمعت صوت باب الشقة يُفتح بعد قدومي بدقائق، ولما رأيت ظلها يقترب من ممر غرفتي كنت أمسح دموعي أمام المرآة وأسرع بتسوية شعري وربطه للخلف، نسيت أمر ملابسي الملقاة علي الأرض لأجد والدتي داخل غرفتي. ارتجفت وأنا أنظر لها وما عساى إلا أن ألتزم الصمت حتى أختبر درجة غضبها.

لوت فمها وقالت لي:

- الراجل اتصل بيا وقالي جاي بكرة.
- هو كان مشغول ورا إيه البيه؟ ده كان بيجري زي اللي فاته معاد طيارة.

رفعت ذقنها قليلاً وهي تنظر لي:

- أما تبقي علي زمته ابقي اسأليه.

أخشي أن أخذل أمي في فكرة الارتباط هذه. نظرت لها وهي تترك الغرفة بخطوات هادئة، فأخرج نفس طويل يصطحب معه طاقة سلبية من القلق والتوتر الغير لازمين الآن.

تجردت الأحداث، سريعاً وما كان الرجل يطرق باب شقتنا ليجلس معنا هو ووالدته التي لم اطمأن لها، ولا اطمأن لأبنها أيضاً، هناك شيء بالموضوع كله لا يريحني، قبل أن يأتِ الرجل بساعات كنت أخبر والدتي ذلك بطريقة غير مباشرة لأني خفت أن تصفعني مرة آخري، كأي مرة أتكلم معها في هذا الموضوع.

تداخل صوت أمي مع صوت والدة الرجل مع صوته، الثلاثة كانوا يتبادلون الأحاديث وأنا لا أزال أحدق في الأرض، أسمعهم ولكن لا أعرف فيما يتحدثون، هناك صوت همس قادم منهم، وصوت ضحكات أمي، ضحكتها عالية، تشبه الراقصات، ما إن ضحكت فرأيت ذلك الرجل يبتسم بخبث وينظر لأمي بإعجاب، لم أفهم نظراته تلك، لكن من الواضح أن هذا لم يلفت نظر والدتي فقد تابعت الحديث في تافهات الحياة، وفوجئت بوالدة الرجل إذ تقول وعلي ثغرها ابتسامة فرح:

- يبقي نقرا الفاتحة ونلبس الدبل.

فاتحة ودبل؟!! ماذا يحدث؟؟ انتظروا!!.

أردت أن أعيق حركات يديهم وهي ترتفع، لكن رمقتني أمي بنظرة حادة جعلتني أرتجف وأفقد صوابي، فرفعت يدي أنا الأخرى، وفتحت فمي أغمغم أتظاهر بقراءة الفاتحة، نظرت لهم، تأملت والدتي ووالدة الرجل وهما يقرآن الفاتحة

وصوتهم واضح، لكن ابنها كان غريباً من آخر مرة، كان يغطي يديه ولا يقرأ الفاتحة، لاحظت ذلك وأنا أنظر له لكن لم أسمح لنفسي بأن أعلق، فسرعان ما رأيته يقترب مني ويسند ركبته علي الأرض ليضع خاتم ذهب في يدي، ومن هنا بدأ الكابوس.

قبّل يدي ورسم ابتسامة باردة علي شفتيه يقول:

- مبروك يا عروسة.

كانت عينيه واسعة، هذه أول مرة أراه عن قرب، ولكنه بدا مخيفاً وهو ينظر لي، شعرت أنه يريد إيذائي رغم أنه لطيفاً معي، حتى الآن.

تجمّدت في مكاني لبقية اليوم، وغادروا المنزل، وأنا لا أزال في مكاني، ارتدي فستان الخطوبة الذي تشاجرت مع والدتي لارتدائه، لم تخبرني أنهم قد اتصلوا ليحددوا ميعاد الخطوبة وأن تلك المقابلة ليست مقابلة عادية.

فكرت في الجامعة، في دراستي ومستقبلي، أي مستقبل أتحدث عنه! أنا حتى لا أعلم ماذا يعمل هذا الرجل حتى الآن.

كالمرة السابقة، غادروا بسرعة، لكن هذه المرة كانت والدته منزعجة منه بشدة لأنه يريد الرحيل مبكراً، عندما سألتها والدتي إلي أين يذهب لم ترد، لكنه أخبرني أنه يقابل أصدقائه لأنه الفترة القادمة سيكون منشغلاً في سفريات.

افتعلت حريقاً مع والدتي فجأة، ولا أذكر السبب لكننا تشاجرنا وتقاذفت الشتائم منها، شتائم لا اسمعها عادتاً في الشارع حتى من قذارتها، ألقيت علي السرير فجأة بعد أن صُفعت مرة آخري من يدها، وبحنق شديد أظهر عروق الدم في رقبتها:

- أنا العيب عليا معرفتش أربّي ومسبتكيش لأبوكي كان يتصرف فيكي.

استرجعت صوابي وأخذت أتنفس الصعداء علي طرف سريري، لقد اكتفيت منها اليوم.

هززت رأسي وسألتها في ضيق:

- أبويا إيه اللي بتتكلمي عنه؟ أبويا مات. . أنتي باينك خرفتي ولا إيه.

- أخرسي. . أبوكي لسة عايش.

نهضت من مكاني وأخذتا أربت علي كتفها وأدفعها براحة لتخرج من غرفتي بعد أن تأكدت أنها تخرف في الكلام:

- طيب ماشي.

دفعتني بذراعها بكل قوتها وصاحت في بغضب:

-أنتي فكراني بخرف؟ أبوكي موجود وعايش. . . أنا كذبت عليكي. . . أبوكي لسة شايفك امبارح في المطعم، أنتي اللي معرفتيهوش.

- ماما أنتي بتقولي إيه؟.

أخذت أنظر إلي والدتي التي ما أن بدأت تأخذ أنفاسها براحة، شعرت بها تستجمع أفكارها، وبدا عليها أنها كانت تعني ما تقوله، نظرت لها بغرابة واقتربت منها أمسك بمعصمها، فدفعتني مرة آخري ولكن كانت ضعيفة وهي تفعل ذلك، رأيت عليها التعب، أمسكت رأسها بيديها من الصداع، كادت أن تتفجر، فسقطت علي سريري وأخذت تحدق في الأرض طويلاً، لم أتكلم ولم أتحرك من مكاني، ظللت أنظر لها انتظر منها أن تقول شيء.

حتى فاجأتني.

أومأت برأسها وعينيها لا تزال مسمرة نحو الأرض:

- أبوكي عايش.

لم تتغير ملامحي، فلم أشعر أن الموضوع مهم، أنا لا أعرف شكل أبي من الأساس.

– أنتي قولتيلي أنه مات، مات في السنة اللي أنا اتولدت فيها. . . بعدين، بعدين لو عايش ليه مبيجيش عندنا وعايش معانا؟.

هزت رأسها وأغمضت عينيها وهي تدفن رأسها بين يديها:

– عشان هو مات بالنسبالي. . لما عرف أني حامل فيكي اتبري منك، قالي أنا مش عايز أخلف.

ثم رفعت رأسها وأخذت تقلد طريقته في الحديث بتعبيرات وجهها:

– أنا قولتلك قبل كده، إحنا علاقتنا كويسة متبوظيهاش وتجيبيلي عيل.

نظرت والدتي إلي فرأيت دموع تترقرق في عينيها، وفجأة اتسعت عينيها في خوف:

– لما عرف انك بنت كان عايز يسقطك.

وأطلقت نبرة صارخة: «يبقي اعتبره مات ولا لأ؟؟! انطقي!!».

ساد الصمت فجأة في الغرفة أحاول ابتلاع ما قالته، كنت أراها أمامي كالمجنونة، الأحداث تُعاد في ذهنها تجعلها تغضب أكثر من اللازم، بينما أنا لا أهتم بماضي أبي الآن، وكل ما دار برأسي هو، سألتها:

– هو فين دلوقتي؟.

– متلقح في أي داهية، متسألنيش عنه.

شعرت للحظة أنها تكذب، فأعدت السؤال:

– تطلع فين أنهي داهية دي؟.

– تلاقيه مرمي في كباريه الهرم دلوقتي مع واحدة.

كنت علي وشك الخروج من غرفتي، عندما سمعت كلمة كباريه وواحدة رجعت لمكاني خطوة وأعدت أنظر لأمي متسائلة بدهشة:

- كباريه وواحدة إزاي؟.
- زي ما سمعتي.

لم أري علي والدتي أي ملامح غرابة كأنها تعرف أن والدي في هذا المكان كل يوم، أو تراه هناك كل يوم، هناك شيء لا أفهمه.

- أنا رايحة له.

وأخت أعجل بخطواتي خارج الغرفة فسرعان ما شعرت بيد تمسكني لداخلها، ضاقت عيني وأنا أري والدتي تشدني ناحيتها بغضب:

- خدي هنا رايحة فين.

نظرت في عينيها:

- في إيه يا ماما؟ عايزة اشوفه.
- تشوفي مين يا هبلة أنتي، ده لو عرف أنك لسة عايشة هيضربك بالنار.
- يضربني بالنار؟ هو في إيه بزبط أنا مش فاهمة.

لم تتكلم، تركتني وغادرت الغرفة، لكني لم أسمع كلامها، غيرت ملابسي سريعاً ورحت أخرج من الشقة فعادت وأمسكت بي من شعري، جعلتني أصرخ بصوت عالي من شدة الألم.

ألقت بي علي الأرض وقالت:

-قسماً عظماً لو شوفتك ريحاله أنتي لا هتبقي بنتي ولا أنا أعرفك، والبيت ده مش هتدخليه تاني.

أمي قاسية جداً في مواقف لا أفهمها، تركتني ذلك المساء في غرفتي والكثير من التساؤلات تعج في رأسي لا أجد لها إجابة بل تزدادني حيرة، ولم أدع تلك الحيرة تزداد إلا وكنت قد دخلت غرفة والدتي، وجدتها نائمة فأخذت أعبث في هاتفها وتفقدت آخر الأرقام التي اتصلت بها أمس، لربما أبي اتصل بها، ولكن لم أري اي نمرة غريبة، توقعت أن تكون مسحتها.

خطر ببالي قبل أن أترك الهاتف مكانه أن أفتح موقع التواصل الاجتماعي، ولكن لم أجد جديد عند أمي، ففتحت إحدي التطبيقات، وجدت نمرة غير مسجلة أرسلت له رسالة بالأمس «ماشي يا حيوان» وبعدها شتائم أخري، وتبعتها رسالة آخيرة لفتت نظري «متفكرش تقرب من بنتي وإلا هقتلك»، حسناً، من الواضح أن والدتي أيضاً خطر علي وعليه.

نظرت لصورة أبي، فوجدت صورة له بمفرده، بدا لي أنه من بلاد الخليج من ملابسه، وملامحه أيضاً، فقدا كانت بشرته سمراء وعينيه لون الفحم، يا إلهي كيف يكون هذا أبي وهو لا يشبهني إطلاقاً، وكيف تزوجته أمي!.

تركت الهاتف علي المنضدة جانب أمي حيث كان، أطرق صوت خفيف لا أعتقد أنه سيوقظها، سرعان ما ذهبت نحو باب الشقة، ولم أكن أشعر بوالدتي وهي تنهض من سريرها، استطاعت أن تراني من غرفتها، فنادتني بصوت عالي لكنني لم أجيب، فصاحت من غرفتها:

- طب وحيات أمك مانتي معتباها تاني.

نظرت إليها بعيني فارغة، أسرعت للخارج وأغلقت الباب خلفي، فإذا بها تلحقني وتقف علي طرف الباب، نزلت من علي السلم وأنا أسمع تلك الكلمات التي لم أكثر لها اهتماما، بصقت خلفي، لكني لم ألتفت لها. أعرف والدتي جيداً،

فهي دائماً ما تتعصب وتعود تلك العاصفة هادئة، في العادة، علاقتي مع والدتي جيدة، لكن فجأة ما أحدها عصبية جداً حتى أنني لا أستطيع تفسير ذلك أحياناً ولا تترك لي مجالاً للتفاهم فأتحمل ذلك.

كان ذلك في منتصف الليل، أعلم أنها لفكرة جنونية أن أنزل من بيتي في هذا الوقت، لكن الفضول لم يتركني بحالي وقادني إلي هذا المكان، وأخذت أبحث عنه، أخذت كثيراً من الوقت إلي حين وجدته، كان بصحبة امرأة كما قالت أمي، ترددت كثيراً قبل أن أذهب له، فأخذت مجلس بعيداً عنه، وجلست علي طاولة، وفوجئت بالنادل يسألني عن المشروب الذي سأشربه فنهضت سريعاً من مكاني بعد ما تملكني الذعر من تلك الأنواع من الأماكن التي توزع الخمور.

بعدئذ، استجمعت كل قواي ورحت أتحدث معه، فأستأذن تلك السيدة التي كانت بصحبته وحدثني باهتمام، وقصَّ علي قصة غريبة، أخبرني كيف تعرف علي والدتي وكيف تزوجها، كنت أكذبه عندما صدمني ببعض الحقائق عنهم، لكنه قال لي أنه كان يريد أن يجهض حملها فصدقت ما قاله منذ قليل، هذا الرجل يحمل أسرار بشعة بداخله، ويبدو من كلامه أن والدتي كانت سيدة تعمل أعمال حرة، عبث بأعصابي وجمد كل تفكيري، طلب مني أن يقلّني إلي المنزل وفي السيارة انعطف بي أمام العمارة وأخذ ينظر لي:

– أنا آسف، متخافيش مني، اكيد مامتك قالتلك عني كلام وحش، أنا فعلاً مش راجل كويس بس متخافيش مني أنا مش هأذيكي.

ساد صمت طويل، ألقيت نظرة علي شقتنا من نافذة العربية وأنا أفكر كيف سأقابل والدتي.

أعدت النظر إليه وهو يتابع كلامه:

- خدي دول.

أخرج من جيبه نقوداً كثيرة مربوطة في بعضها كأنها كانت محفوظة في البنك، فنظرت إليها بتعجب وأنا اسأله:

- إيه دول؟.

- دي دنانير، مامتك امبارح لما كلمتها طلبت مني فلوس اجيبهالكم.

نزلت من السيارة وأغلقت بابها وأنا أقول:

- مش عايزة من وشكم حاجة.

صعدت لشقتي، وأخذت أفتح الباب، لم أري والدتي وهي تراقبنا من شرفة الشقة، دخلت الشقة وأنا ألتفت يميناً ويساراً بتكاسل، أشعر بالتعب لكن علي ما يبدو أنها ستكون ليلة طويلة، وجدت والدتي تقف لي في الصالة بعد أن أضأت النور، حدقت لها طويلاً، أشعر بالقرف وأنا أنظر لا، بعد ما قاله لي أبي لا أريد أن أجلس معها مرة أخري في بيت واحد.

نظرت لي بحدة:

-قالك إيه؟ أكيد قالك أني واحدة زبالة عشان يبقي هو الراجل الملاك في نظرك، بيضحك عليكي يا هبلة.

ابتسمت لها ببرود:

- أنتي وهو طلعتوا أزبل ناس عرفتها.

لم تصفعني، لم تضربني، ولم تفعل لي أي شيء، رأيتها تنظر للأرض في خجل، وتأكد أن كلامي صحيح بالفعل. شعرت بنفسي يختنق، تمنيت أن يكون كل ما قاله ذلك الرجل كذب.

عبست وأخرجت ما بداخلي في كلمات:

-أنا أمي كانت واحدة من إياهم؟ وعايزة تجوزيني بأي شكل عشان البيه مبقاش يبعتلك فلوس فتجيبي حد يصرف علينا؟.

كنت علي وشك أن ارتكب جريمة بحق نفسي، الصدمة والأحداث المتتالية، ومفاجأة الخطوبة، ونظرات ذلك الرجل إلي وهو يضع لي الخاتم، هناك أموراً لا أجد لها تفسير، لِمَ يحدث لي كل هذا وكيف ينقلب الحال بهذا الشكل، كنت فتاة أعيش حياة عادية جداً، تفاجئت بأني أعيش حياة كلها ملعونة عند الله. أكيد أنا بكابوس وسأستيقظ منه علي حياتي العادية التي لا تشغلها إلا الدراسة، كابوس أجل.

أخذت نفس عميق، بدأت أشعر بدوار وكل شيء من حولي ينقلب، الأكسجين احتبس في انفي وكأنه لا مجال للحياة.

اقتربت مني والدتي وأمسكت بذراعي فابتعدت عنها وأنا أنظر لها باشمئزاز:

- ابعدي عني، أنا مش هقعدلك فيها تاني.

لم انسَ نظرات أمي الحادة لي وأنا أرحل من البيت، كأنها تهدّدني بعدم الرحيل، ولكن ما إن دخلت غرفتي فتحت دولابي وشددت منه ملابسي المعلقة في عنف، فسقط العديد منها علي الأرض والبعض استطعت جمعه في يدي. لم انسي ذلك اليوم، حياتي تبدّلت كليّاً، رحلت عن البيت ولم أدخله بعدها أبداً، رحلت منه وأنا أحمل معي ذكري هذا الحديث الأخير بيني وبين والدتي، شعرت في قلبي بنبضات تتسارع وأنا أجمع أغراضي في حقيبتي، تمنيت أن ابقَ علي قيد الحياة إلي حين أن أخرج من المنزل، لكنها تسارعت بشكل جنوني أفقدني صوابي، لم أشعر بجسدي إلا في سرير آخر غير سريري، وجدار حائط ذات لون مختلف عن غرفتي، لا أعلم ماذا حل بي أو من نقلني إلي هذا المكان، لكن لا يبدو لي أنه غرفتي،

للوهلة الأولي ظننت أنني استفيق من ذلك الكابوس، لكن صُدر صوت ضرب، لم أشعر به إلا بعد الضربة الثالثة علي وجهي، أحدهم يحاول إيقاظي.

الرواية

نفتح لكم أكثر القضايا الساخنة، ونعرض لكم أحداثاً مثيرة للجدل حدثت في السنين الأخيرة.
لن ندخل بك من خلال الصفحات إلي عالم الليل، ولكن اتركنا نشاهد الأحداث من الأعلى،
وندخل إلي عقول وقلوب هؤلاء من صنعوا هذا العالم
لن نعرفك علي أشكال الفساد في مجتمعنا ولكننا نصل لتفسيرات أدت إلي ذلك الفساد وكيف يعالجونه
اختلفت هذه الرواية عن السينما وما تشوّه من وقائع الفساد وعالم الليل،
هذه الرواية احتوت علي عشرات القصص من فتيات الليل مُزجت في شخصية واحدة حفاظاً علي هويتهم.

إهداء إلي كل فتاة ذُكرت قصتها.
طابت ليلتكم.

الفصل الأول

- مين ده اللي كان بيحاول يفوقك أو يصحيكي؟.

وضعت السيجارة من يدي علي الطاولة أمامي وأنا انظر لكريم، للحظة شعرت بالقلق في عينيه رغم أنه لم يكف عن مراقبة حركاتي وأنا أتحدث إليه.

كان ذلك في منزلي، مساء يوم الحادي عشر من فبراير سنة 2015 حيث اصطحبته في يوم أجازته، أو بمعني آخر، هو من أخذ أجازة يوم كامل ليجلس معي ويسألني عن قصتي، عندما جاء خففت ضوء الشقة، وجلسنا علي طاولة الطعام، فرغتها من كل شيء إلا بعض الأوراق المهمة عني كشهادة الميلاد وشهادة الثانوية. كريم صحفي شاب، لا أعلم تاريخه المهني لكن هناك صدف كثيرة جمعتنا قبل أن نتفق علي الجلوس سوياً لأحكي له قصتي، كريم حاول من سنين سابقة أن يعرف قصتي، لكنني راوغته وهربت منه، وشاء القدر أن يجمعنا، فلم يتردد عن المجيء لمنزلي عندما دعوته في اتصال سريع ليسمع قصتي بالتفصيل، حتى الآن لا يعلم سبب اتصالي هذا، ولِم قد ترغب فتاة الليل بالبوح بأسرارها؟.

ساد الصمت للحظة قبل أن أجيبه:

-كانت صحبتي. . . بوسي، مش فاكرة إيه اللي حصل قبلها لكن صحيت لقيت نفسي عندها في البيت.

سألني بصوت أجش:

- بوسي ده اسمها؟.

نظرت له بإبتسامة باردة:

- لأ. . .

وتابعت بتردد:

- ده اسم حركي كده، هي ليها حداشر اسم. .

- اسمها الحقيقي إيه؟.

أمسكت بالسيجار ودستها في فمي لأسحب نفساً طويلاً.

- مش مهم اسمها.

- طب ودي إيه حكايتها؟.

نفث السيجار في الهواء، ثم قلت:

- بوسي صحبتي من تانية طب، وكنت بسمع عنها أنها شاطرة فكنت بروح اسألها في المنهج، علاقتنا زي ما أنت شايف، مصلحة مش أكتر.

- آه يعني أنتي عرفاها مصلحة؟

- أنا مكنش ليا صداقات ساعتها ومش بعرف يكون ليا داخلة، تقدر تقول انطوائية.

- كملي.

هززت كتفي بينما أتابع:

- لقيتها في يوم بتتصل بيا.

وأخذت أمثل له بحركات يدي توافق ما أقوله.

– كانت الساعة تمانية وأول ما رديت قالتلي أنتي فين، كنت مستغربة أنها متعرفنيش ومتعرفش عني حاجة وبتتصل بيا كل يوم بدري عشان أقعد معاها من أول اليوم.

– طيب وأنتي؟ ملاحظتيش عليها اي حاجة؟.

رفعت حاجبي بإندهاش:

– الغريبة أنه لأ! بس عارف؟ كان عليها حركات يعني كده، لكن لا برده ميدلش علي أنها كده، بمعني، فجأة ألاقيه تضحك ضحكة سافلة، ولما تلاقي الولاد يسمعوا ولا يهمها، أصلاً مش بتاخد بالها انهم سمعوا وبصوا لها.

– ايوة بس في بنات كتير بتضحك كده عادي يعني.

– بوسي كان عليها حركات كتير متطمنش، جيت لها البيت مرة مفاجئة لقيتها سكرانة، أنا طبعاً اللي جيه في بالي أنها بتجرب حاجة، بس عشان كنا بناخد رمد وكده، مواد ملهاش علاقة بالتجارب الكحولية فكنت بقعد اسأل نفسي ايه اللي مخليها كده.

– انتم كنتوا بتزبطوا الزباين إزاي؟.

نفيت ذلك.

– أنا مكنتش بزبط حد.

***

غطّي السماء شارع الهرم، وتوقفت بسيارة صديقتي أمام مطعم فخم قرب شارع الهرم.

ألتفتت لصديقتي قبل أن انزل، وسألتها:

– هتروحي علي البيت؟.

هزت رأسها.

- آه شكلي كده، ابقي كلميني كل شوية.

- أكلمك أزاي؟ مانتي عارفة اني مش هعرف اكلمك.

ردّت علي بعصبية:

-بقولك تعبانة! تعبانة يا بني آدمة، مش بعيد أقولك سيبي اللي في إيدك وجيبيلي دكتور.

- خلاص ماشي!.

- سلام!.

تركت صديقتي ترحل بسيارتها، ودخلت ذلك المطعم، إنها المرة الأولي التي أدخله ولكني كنت أسمع عنه. المطعم واسع للغاية، له سقف عالي وديكوره كالمسارح، ويحتوي علي عدد قليل من الطاولات المغطاة بالمفارش الحمراء يملؤها الزبائن. رأيت طاولة في ركن المطعم يجلس عليها رجل وامرأة، فيما يبدو من لغة جسدهم أنهم حبيبين منذ زمن، ابتسمت عندما رأيتهم إلي أن جاء لي النادل ووقف أمامي ليمنع بجسده أنظاري عنهم.

قطع حبل أفكاري بسؤاله:

- حضرتك الآنسة بسنت حجازي؟.

تأملته من الأعلى للأسفل قبل أن أجيبه:

- أيوة أنا.

- طيب، أتفضلي معايا.

ورأيته يسير بعيداً، لحقت به بخطوات هادئة، اقتربنا من سلم ذهبي في جانب المطعم لم ألمحه عند دخولي، صعد بي وكان يوجّهني لأعلي، رأيت طابق آخر، واسع

للغاية، له نفس ديكور الطابق الأول وينصفه طاولة واحدة، طويلة وتحتوي علي أصناف طعام قليلة، علي طرفها كاسين من الخمر، وبدا أنه نوع فخم من الخمر. جانب الطاولة كرسي من ناحية والناحية الأخرى كرسي، أضيئت الأنوار علي الطاولة وما كان يزيد الجو شاعرية الشمع المشتعل في أركان الطابق، بدا المكان فخم للغاية، وكأنه صمم خصيصاً لمقابلة مهمة، للحظة شعرت بغرابة، لم آت لأفتعل مقابلة مهمة أو أتحدث في مناقشة سرية، نظرت للنادل وفي عيني تساؤلات حول هذا المكان الذي اصطحبني إليه.

خفض رأسه قليلاً قبل أن يجيبني:

- حضرتك المكان ده محجوزلك بإسمك.
- شكراً. . .

وجدت نفسي أجلس علي أحدي الكراسي، وبدأت اسمع نغمات آلة الساكسفون في الخلفية، عندما نظرت حولي كان من الصعب أن أحدد مصدرها فلم أكن أري سوي جدار لذا اكتفيت بالاستمتاع بها، لكن فجأة غبت عن كل هذا ونسيت سبب مجيئي وانشغلت بصديقتي، أخذت هاتفي من حقيبتي اتصل بها إلي أن أجابتني بعد الرنة الثالثة وفي خلفها كنت اسمع صوت سيارات:

- ألو يا حبيبي.

سألتها:

- إيه يا حبيبي أنتي فين؟.
- أنا في الدائري كده.
- إيه اللي وداكي هناك!.
- مفيش أنا قلت اقعد في شقة التجمع.

ألتفتت حولي أري إن كان هناك أحد يقف يسمعني قبل أن أتابع المكالمة معها.

همست بصوت هادئ في الهاتف:

- إيه اللي وداكي شقة التجمع؟ هروح إزاي أنا دلوقتي!.
- معلش يا حبيبي روحي شقة الزمالك، أنتي معاكي المفتاح بتاعها.
- أنتي هتقابلي حد؟.

– اقابل مين انتي مش عارفة انه مش هينفع؟! بقولك ايه اقفلي دلوقتي أنا قربت خلاص.

أقفلت معها الخط وجلست في مكاني انتظر، نظرت للساعة، إنها الحادية عشر مساءاً والرجل الذي حجز لي هذا الطابق لا يزال غائباً. تنهدت قبل أن أخرج أدوات التجميل من حقيبتي وأضعها علي الطاولة أمامي، لمحت كأس الخمر يلمع سطحه الأحمر من انعكاس الإضاءة، رمشت بعيني وأنا أحدق له، هذه المرة الأولي التي أتتلذذ بكأس الخمر، عدت أتنهدت ومنعت نفسي بشدة عن تناوله، إلا أنني لم أستطيع. طيلة الفترة الأخيرة حاولت جاهدة أن أمنع نفسي، وها أنا أفعل ذلك، أمسكت به وألقيت بالخمر علي الأرض ولم أهتم لأناقة المكان من أن تفسد.

أعرفكم بنفسي، أنا لا أدعي بسنت كما قال النادل ولا أحد يعلم اسمي، فأنا لا أحمل اسم، مجهولة الهوية، لا أحد يعلم سنّي، أو جنسيتي أو أي شيء عني، فقط ما يعرفونه عني هو ما أظهره، حتى أنني لن أستطيع أن أعرفكم بنفسي بوضوح.

يقولون أنني شبيهة يسرا أللوزي الممثلة، رغم زرقة عيني، لكنني كنت طويلة القامة وشفتي رقيقة، من يراني يعتقد أنني هي في أغلب الأحيان. لقد تغيرت عن الفترة السابقة، أذكر شكلي في المرآة عندما كنت في الجامعة، اربط للخلف كتلميذة في المدرسة، لم يكن لدي الوقت الكافِ للاهتمام بمنظري، كنت ارتدي قميصاً وسروال، لكن الآن بعت هذه الملابس وبدلتهم بفساتين وتنورة تظهر صدري، فككت ربطة شعري ولوّنت أطرافه باللون الذهبي، كما أنني خلعت خاتم الخطوبة من يدي، لقد تغيرت أشياء كثيرة في الفترة السابقة.

نظرت مجدداً للساعة وزفرت نفسي بضيق، لقد انتظرت كثيراً، لن انتظر أكثر من ذلك، يبدو أنه متزوج وسيتعثر في المجيء.

سمعت ذلك الصوت يصدر في هاتفي، ففتحته لأجد رسالة من رقم غير مسجل: «مش هعرف أجيلك، خدي بعضك علي فندق في قصر النيل دلوقتي، في ألفين دولار مستنينك».

ضاقت عيني عندما قرأت هذا المبلغ، ولم ألبث في الكرسي طويلاً وغادرت ذلك المطعم الجميل بعد أن تركت فيه ذكري حميدة. أوقفت سيارة أجرة وما كان ينطلق السائق بي حتى قلت له عنوان الفندق، فردت ظهري علي الكرسي الأمامي وأرخت رأسي للخلف بينما كنت أحدق من خلال نافذة السيارة أراقب المارة، ولما كنت أري أحدهم تقع عيني في عيني فلا يُحدث أي تصرفات توحي بالشعور نحوي بالحقارة أو الكراهية ابتسم داخلي، كلما انظر حولي أري الناس تنخدع بمظهري، ذلك النادل لو يعرف من أنا لكان أظهر لي رغباته الدنيئة، أو أبلغ عني، أو طردني من المطعم، لكن لم يكن ليستقبلني ويرحب بي.

أقابل عشرات الناس كل يوم، أحدّثهم ويحدثوني في مواضيع شتي، يلقون لي ابتسامات صداقة فأرد بزيف، لأن الابتسامة الصداقة أصبحت عمل شاق علي. عندما أتحدث مع هؤلاء الناس أسجل ملاحظة غريبة، كلهم يجهلون أنني فتاة ليل، سائق الأجرة الجالس بجانبي يؤدي عمله علي أكمل وجه لكن لا يعلم أن من تجلس جانبه مومس، مثله كالنادل، وغيرهم أتعامل معهم يومياً وأشفق عليهم من مكسبهم، فهم يتناولون مني نقوداً حرام. . . أياً كان، نحن فتيات الليل نتواجد في كل مكان، حولكم في الأندية والجامعات والشوارع والمصالح الحكومية، في مصر يوجد بمعدل شقة تمارس الدعارة في كل شارع، ولا تستبعد أن تكون هذه الشقة التي تجاورك.

أوقفني السائق أمام الفندق، فأعطيته المال قبل أن أنزل وأرفع رأسي للأعلى لأري فندقاً ارتفاعه يبلغ عشرين طابق، وكان كل ما أفكر به ذلك الرجل ينتظرني في أحدي تلك الغرف المضيئة وهو يحمل ألفين دولار.

مررت في الاستقبال بخفة، أعتدت فعل ذلك، فقط ملت للأمام وأنا اسأله عن كرم بك، فتمايلت خصلات شعري للأمام كادوا أن يفقدوه صوابه، ابتسمت ابتسامة تحمل معانٍ خبيثة، رفع عينيه من علي شاشة الحاسب أمامه وقال:

- كرم بك في أوضة 710.
- شكرا يا. . .
- رامي.
- بس أنا مسألتكش!.

وعضضت علي شفتي ثم هممت بالرحيل، كان يبتسم، وكنت أعلم أنه سيفعل ذلك، رمقته بنظرة أخيرة قبل أن أدخل المصعد فرأيت عينيه تتبعني، لم أهتم لذلك، دخلت المصعد وقد عاد وجهي لوضعيته الطبيعية، وضعية الجمود.

عادتاً لا أفعل ذلك، ولا أتمايل في أي مكان ومع أي رجل، لكن هناك رجال يسهل قراءتهم من أول نظرة، أعلم أنهم يرغبون فأريهم أنني علي قبول بذلك، هكذا علمني جابر.

مشيت بخطوات هادئة علي سجاد أحمر طويل بين جدران الطابق السابع للفندق، كنت أتفحص بعيني يميناً ويساراً أبواب الغرف حتى توقفت عند غرفة رقم 710.

عندما طرقت باب غرفة 710 كنت أنظر حولي، كأنني لص يحاول الاختباء من الشرطة التي تلاحقه، ولكن ما كان يلاحقني حينها كاميرات المراقبة التي وقعت عيني عليها في سطح ممر الفندق بمجرد أن رفعت رأسي للأعلى، لم أطل النظر إليها وقد شعرت بيد تسحبني للداخل، دخلت لأجد رجلاً سنّه يقارب الأربعين يحمل فوق رأسه شعراً أسود توسطته شعيرات رمادية لامعة، كان متوسط القامة ولاحظت مترهلات الدهون في جسده، كان يرتدي سروال أزرق جينز وقميص نصفه مفتوح ليظهر صدره، لم ينطق بشيء، راقبت خطواته متجهة لحمام الغرفة وفي الواقع تعجبت لذلك، حتى إنني كنت أنظر له باستغراب، لكن تمنيت لو أنه يطيل في وقت استحمامه بالداخل إلي حين أخطف أنفاسي في تلك الغرفة.

كان هناك فراش كبير يسع لثلاث أشخاص في نصف الغرفة، أمامه طاولة خشبية فوقها تلفاز معلق علي الحائط، انتبهت للطاولة للحظة وأخذت في خلع معطفي، وتبعه سروالي الأسود.

***

قاطعني كريم عن الحديث وسألني بهدوء:

- ده كان امتة الكلام ده؟.

- ديسمبر، 2005. . .

- بتاخدي ألفين دولار!!؟.

ابتسمت بسخرية وأنا أجيبه:

- أول مرة ليا من عشر سنين أتدفع لي 500 دولار.

***

أرحت رأسي للخلف، ورجعت أتابع انتظار ذلك الرجل في الغرفة، مرت ساعة ولم يخرج، شعرت بالقلق إن كان حدث له شيء، لكن صوت المياه لم ينقطع. كنت جالسة ورفعت ساقي لأضمهم علي جسدي. كل شيء حولي ساكن، والهدوء يغزو الغرفة فيما عدا صوت المياه الصادر من الحمام، لم أشعر بأحد خارج الغرفة، إلا أنه كان هناك رجلان يقفان خارج الغرفة ويتهامسان في هدوء، فوجئت بهم إذ يطرقون باب الغرفة في عنف حتى كاد أن ينخلع من مقابضه! انتفضت من السرير وتحركت حركة لا إرادية نحو الباب لأفتحه، وكان ذلك أكثر خطأ ارتكبته، دخل علي هذان الرجلين ودفعاني بقوة جسديهما كأنهم لم يلمحوني، فُدفعت بضربة منهم علي الأرض أوقعتني علي ظهري، انتشروا في الغرفة، أخذوا يبحثوا عن شيء ما لا أعرفه.

أخذت صعوبة لأفتح عيني، فأجد نفسي ارتفع عن مستوي الأرض ويد غليظة تشدني من ذراعي في عنف.

تأوهت بشدة، وألقاني علي حافة السرير فرأيته يحدق لي وعلي وجهه الغضب، أحسست أنه يريد تفريغ غضبه فيّ من شدته احمرار عينيه، كأن شرارة تشتعل داخله، لم أفهم سر هذا الغضب، لكن قاطع تركيزي في عينيه ذلك الرجل الآخر الذي كان بصحبته، وتمتم له:

- دوّر في لبسه كده.

إذا كان الحديث عن الملابس الرجل الذي أتيت لألتقي به فعلمت أن وجودهم لا يشكل خطر علي، لم يكثروا لوجودي، أو هكذا ظننت، فعندما كان رجل منهم يبحث في ملابس الرجل التي كانت بالغرفة، كان الآخر يحاول كسر باب الحمام بينما رفعت ساقي من علي الأرض وأخذت في ضمّهم إلي، ليس من البرد ولكن من شدة الخوف.

للحظة توقفت دماغي عن التفكير وتمنيت لو أن هذا كله كابوس سيأتي الوقت واستيقظ منه.

ألتفتت برأسي نحو باب الحمام بعد أن سمعت صوت كسر الباب، رأيت الرجل دفعه دفعة قوية كادت أن تؤذيه، لا يهم، لكن أصدر صوت قوي عند فتحه جعلتني انظر إليه بانتباه.

لم يستمر تحديقي نحو الرجل إلا وأن رأيت الآخر يلقي بالملابس، فنظرت إليه، وتطلب مني ذلك رفع رأسي للأعلى لطول قامته، كان كتفيه عريض وله جبهة عريضة، تحتها حاجبين تلونوا باللون البني فوق عيونه الرمادية، كان بالكاد وسيماً لكن لم يكف عن التحديق لي، حتى أنني لم أفهم نظراته، إلا أن هذا لم يطول بيننا وقاطع الرجل الآخر صمتنا بصوت عالي:

- واقف عندك بتهبب إيه!.

رفعت حاجبي وأردت طرح نفس السؤال عليه.

ابتعد الرجل الذي لم يكف عن تحديق إلي وتوجه بخطوات واسعة نحو الحمام، فيما كان الرجل الآخر يقترب مني، أزاحني علي الفراش، خُيّل لي أنني أصبحت فريسة بين يديه وسينقض عليه، لكنه لم يسمح لي بأن أميل علي السرير، شعرت بيده تمسكني من مؤخرة رأسي، وعندما أحكم قبضته أغمضت عيني بشدة من الألم، بهزّة من يده ارتجت رأسي، وفتحتها لأري شيء لامع يلامس رقبتي، خفضت بصري ببطء محاولة جاهدة أن أري هذا الشيء، لكن رأسي كانت مشدودة للأعلى.

سرعان ما علمت ذلك الشيء، وتمنيت لو أنني لم أعلم، فقد كان أخرج سكين من جيبه ليقربها نحو عنقي فأشعر بشكة تخترق حلقي، في هذه اللحظة لم أفكر وبدوت مستسلمة، تماماً.

سمعته يقول:

- أنتي مشوفتيش حاجة.

تقبّلت هذا التهديد بصدر رحب، فلم تخيفني السكّين بقدر نظرات ذلك الرجل، كنت علي وشك أن أنطق لأعلمه موافقتي فقد كنت أواجه صعوبة في تحريك رأسي من وضع الدعاء هذا، فلم يحالفني الحظ، حتى سمعت صوت ضرب تبعه صوت سقوط جسد، فاستنتجت أن الرجل الثاني ضرب الرجل الذي أتيت من أجله حتى أوقعه أرضاً.

لم يفك الوقت وشعرت بالسكين يمر علي رقبتي واخترق الجلد، تأوهت بشدة.

شعرت بسائل الدم يتساقط علي رقبتي، لكن نظرات ذلك الرجل إلي كانت شديدة التركيز في عيني، لم يترك لي مجال لأتهرب منه.

وقال:

- ده زيادة تأكيد.

شعرت بصعوبة في بلع ريقي من هذا الجرح الذي توسط رقبتي، رأيت في نظرات هذا الرجل القوة، ولم يخشي شيئاً، كنت أتساءل لِمَ لا يحاولون ارتداء أقنعة أو ما شابه ليغطوا وجوههم فهم لا يعرفون أنني فتاة ليل.

رجع خطوة للخلف، تركني في راحة لأضع ساقي علي الأرض واعتدل في جلستي، رماني بنظرة شر قبل أن يغادر الغرفة، تفهمت الرسالة التي تحمل تهديداً بحياتي وتابعت بعيني خطواته هو والرجل الآخر معه حتى خرجوا من الغرفة تاركين الرجل جسده ملقي علي أرض الحمام وأطراف ساقيه تخرج من حدود الحمام. نهضت من علي السرير وأنا أحاول أن أستقيم علي ساقي الهزيلتين، اصطكت أسناني ومشيت حافية ببطء علي الأرض إلي أن اقتربت من جسد الرجل، وتأملته سريعاً، شاهد بقعة دم تنتشر تحت رأسه فشهقت وابتعد عنه، جمعت كل أغراضي من علي الأرض بعد أن بعثرت بفضل هاذين الرجلين، فأخذت دقائق سريعة ارتدي ملابسي، وأسرعت بالخروج من 710 وكلفت نفسي بارتداء معطفي في ممر الفندق. نسيت أمر الكاميرا المراقبة، ونسيت أمر الألفين دولار، نسيت كل شيء وكأن مخي توقف إلي لحظة رؤية الدم فطلبت المصعد، لكن لم يكن بوسعي أن أقف لأنتظر وهممت بالسير في الممر أبحث عن سُلّم، لففت يميناً ويساراً فلم أجد سلم، فرجعت أقف أمام المصعد، ولما وصل دخلت، فوجدت أمامي مرآه، نظرت لها عن دون عمد ورأيت الدم لا يزال يترك أثراً علي رقبتي، بالطبع كنت أشعر به، لكنني

تفاديت كل الأحاسيس التي ستعرج حركتي، وضعت يدي علي رقبتي وأبقيتها كذلك إلا أن فتح باب المصعد وخرجت، كان كل همي وأنا أمر من بين الحقائب والناس في صالة الفندق ألا يلتفت أحد لي، لكن نظرات الناس لي كانت تراقبني فأسرعت خطواتي إلي خارج الفندق، حينها وقفت انتظر أي سيارة أجرة لتقلنّي بعيداً، وما إن ركبت في الأريكة الخلفية طلبت من سائق الأجرة مناديل ووضعتها علي رقبتي، تفاديت تماماً نظراته لي في المرآة، تابعت وقف النزيف وتركت يدي معلقة وهي ممسكة بالمناديل فترة لأنسي أنني من المفترض أن أتصل بصديقتي، فلازلت أجهل أين سأنزل، من السهل أن تفاجئني أنها تحركت من شقة التجمع إلي شقة الزمالك.

كانت ليلة صعبة، احتجت فيها أن أريح جسدي وأقلع عن التفكير لساعات، لكن لم أكن أعلم أن ما حدث للتو كان مجرد بداية استبشر بها بقية الليلة، أذكر أنني بمجرد مغادرتي منطقة شارع الهرم أغفيت في أحلامي، لا أعلم ما الذي جعلني أذكر تلك الذكري في ذلك الوقت، لكن الأحداث عادت نفسها في راسي فجأة، وتذكرت ما حدث لي منذ سنتين، عندما جاءت والدتي تحاول خطبتي علي رجل لأول مرة أراه تبعها مرة أخري وتمت خطبتنا سراً فجأة، ويومها علمت سر والدتي وأنها كانت فتاة ليل فرحلت لصديقتي، لم أخبرها ولم أعلمها بشيء، فكانت تعلم أن علاقتي بوالدتي جيدة لأني دائماً ما أحكي عنها، وفوجئت بعد إقامتي ليالي عندها أنها كانت تسهر في الخارج دوماً، وعندما كنت اسألها امتنعت عن إخباري كذلك امتنعت عن اصطحابي، في إحدى الليالي، واذكر الساعة وقتها، كانت بعد منتصف الليل بساعتين، وكنت حينها نائمة فعندما اشتد الطرق علي الباب علمت أنها لم تكن الطارقة، لأني أخبرها أن تتذكر

أخذ مفتاحها معها حيث أعجز أن افتح لها ولن أستطيع متابعة مراحل نومي العميق مجدداً، في هذه المرة علمت شيئاً، عندما نهضت أفتح الباب وجدت أمامي رجل يقرب قامتي وهو شديد الوسامة، اتكأ علي باب الشقة ومال نحوي فكان قريب من وجهي للغاية، شمّمت رائحة الكحول من أنفاسه، رائحة قوية جعلتني أتخذ خطوة للخلف، جاء ليسألني عن صديقتي فسألته من أين يعرفها، ولم يجيب بسرعة، نظر لي باستغراب، حكّ في فروه رأسه قليلاً ثم قال لي أنها دوماً ما تأتي بار في شارع الهرم، علمت وقتها أن سؤالي كان يقع موقع الغرابة علي مسامعه، طردته من الشقة، وفور عودة صديقتي كانت الصدمة التالية التي أتلقاها، ووقعنا في مواجهة حادة، هذه الصدمة أثرت علي بشدة أكثر من صدمة والدي، لأني شعرت للحظة أن العالم كله يسود في وجهي، وفجأة يخلو من الأشراف، كل الأوساخ يتماثلون في زى الأشراف وسرعان ما ينكشفون علي حقيقتهم.

قلت لها أن هناك رجل سأل عليها، فتوترت وسألني عن مواصفاته، بعد أن وصفت ما اذكره من ملامحه أخبرتني أنه عمر، وبعدها جلست تخبرني عنه، وعن حياتها، لم أعلم سر صراحتها المفاجئة معي، لكن بعد أن نزلت معها مرة في بارات الهرم وشاهدت عمر فرأيت أنه كان يحاول أن يجذبني بالحوارات، وما إن وقعت في طريق الدعارة، وكان ذلك بفضل صديقتي التي استطاعت إقناعي أن كل الناس يتقابلون صباحاً في الكليات والأندية والبيوت والمدارس ويأتون ليلاً ليخرجوا ما بداخلهم من كبت، وكانت تعني بالكبت الكبت النفسي، من مشاكل نفسية وضيق، هكذا كانت وجهة نظرها، فتجربتها في الحياة تطابق ما تقوله، لأنها كما أخبرتني لها ظروف حياة مختلفة عني أدت بها إلي ذلك الطريق، فبوسي أو سوسو أو كما تدعي نفسها أو ما يدعوها الآخرين بها كانت من طفولتها تحب الرقص

الشرقي، وتجيده نسبة إلي الأطفال في سنّها، ومن كلامها عن الرقص وحبها للرقص في الطفولة فأنا لا أري أنها تجيد الرقص، والسبب أخبرتني به أن أبيها كان رجل متشدد للغاية، عندما يراها ترقص كان يقول لها أن الرقص حرام ويلهي عن الصلاة والعبادة، أخبرتني أنها كانت طفلة وتأثرت بكلام أبيها عن دون وعي، لكن في مراهقتها، بلغت من الرشد كما يبلغه بقية الفتيات في فترة سنّها، واشتد عودها، وبرزت مفاتن جسمها، وكانت سعيدة بذلك، فراحت تضع مساحيق التجميل علي وجهها لتبدو فتاة في العشرينات رغم أنها كانت في الرابعة عشر من عمرها، لما كان أبيها يراها تفعل ذلك أرغمها علي ارتداء الحجاب، وبعد مشاجرة أطاعته، لكنها كانت تخلعه بمجرد أن تنزل الشارع، وكان كل فتي يراها أو رجل يلقي لها كلمات بذيئة يغازلها بها، إلا أنها كانت تسعد بذلك، بوسي، تحب ذلك الطريق من البداية، وبعد سنتين من العمل في الدعارة كانت درجاتها تنخفض بمستوي ملحوظ في الدراسة، استقلت عن أسرتها بعد وفاة أبيها في السنة الأولي من الكلية، وقامت بتأجير تلك الشقة من مالها الخاص، وهي الآن تعمل كل يوم تقريباً، قد تقابل ثلاث زبائن في يوم واحد، عندما نزلت معها وللمرة الأولي، عرفتني علي جابر، وهو من يأتِ لها بالزبائن، وكانت تأخذ من الزبائن دولارات فهو لا يتعامل إلا مع غير المصريين، وبدا من كلامه عنها أنها المفضلة لديه، فهي بالفطرة تجيد قراءة الناس، وتنطق بأربعة لغات بطلاقة مما يجعلها تساعد جابر في التواصل مع بعض الأجانب.

نزلت معها، وخاطرت بجسدي أول مخاطرة، وكان التعويض بشرفي 500 دولار، ومن سواد حظي أن الزبون استمتع معي فطلب جابر أن أعمل معه وإلا بالمقابل سأكون بالسجن. الإحساس بالإهانة، والقذارة من مخالطة الرجال كان

يلازمني ليل نهار، رغبت في مرة بحرق جلدي واستبدله بجلد آخر، أريد الخروج من هذا الجسد فروحي طيبة لا تطابقه، لا أحد يحس بشيء داخلي، تأتيني الأفكار في الليل تجعلني عاجزة عن النوم لساعات واستيقظ بحال سيئ، ودعت ذلك الشكل الذي كنت أذهب به للجامعة، وارتديت ملابس تظهر مفاتن جسدي، ولازمت الرياضة ليشد جلدي، كما أنني أرغمت علي كسب الوزن فأبدو ممتلئة. كنت أحتقر والدتي، الآن احتقر نفسي أكثر من أي مرة سبقت، علي الأقل كانت والدتي مرغمة علي هذا العمل لاحتياج المال، لكنني أفعل ذلك بدون دافع.

لا يهم إن كنت مرغمة أو غير ذلك، المبدأ لا يوافقني، وبالرغم من ذلك فأنا انزل لأفعل هذا، وأعود غاضبة، أجلس في دائرة الاكتئاب التي وضعت بى الظروف فيها، بحثت عن أطباء في جامعتي، وكنت أتحجج بمعرفة مرض الاكتئاب وعلاجه حتى لا اضطر إلي الذهاب إلي طبيب فأحكي له أسباب المرض، ورحت أتناول الأدوية يومياً، ومن الطبيعي أن تتحسن حالتي بعد ثلاث شهور من الدواء وابدأ بعدها في التخفيف من الجرعة فتكون يوم واليوم الآخر لا آخذها، إلا أن لم يحدث، فعاد الاكتئاب يلازمني، وبشدة، وظهرت علي أعراض خطيرة منه.

أهملت نفسي وأهملت دراستي وتركت حياتي العادية، لأدخل في عالم الليل من أوسع أبوابه حتى أصبحت أشهر فتاة ليل في شارع الهرم.

أفقت علي ذلك الصوت الخشن من سائق الأجرة، كأنه صوت من عالم آخر، أخذت من الوقت ثواني حتى أخرجت بعض الجنيهات له وذهبت بعيداً، بمجرد نزولي من سيارة الأجرة كنت أرسم في ذهني خطوط توصلني إلي المنزل، فأنا عادتاً لا انزل أمام المنزل مباشرة مهما كانت درجة تعبي لكي لا يعرف أحد طريق المنزل أو يتبعني.

عندما فتحت الباب بقيت عيني مسمّرة للحظة علي الأريكة التي كانت في ركن الصالة، فلم أجد صديقتي تجلس عليها، ولا شممت رائحة سجائرها في الشقة، بحثت في كل غرفة كأني أراها للمرة الأولي.

فتحت باب غرفتي فوجدتها تتقوقع تحت غطاء السرير، لم أري منها سوي رأسها وباقي جسدها ينكمش علي نفسه، نظرت لي وهمست:

- خلصتي؟.

ما كان بوسعي أن أخبرها بما حدث لي، نسيت أمر الجرح الذي توسط عنقي، وأزحت خصلات شعري خلف أذني فرأته.

- آه خلصت.

كنت أعني بذلك الزبون، رأت صديقتي الجرح وأومأت رأسها، ثم سألتني بصوت خافت:

- هتنامي طيب؟.

شعرت بالقلق من نبرتها، لكنني انشغلت بأمر تغيير ملابسي، واحتجت لحمام ساخن، فدخلت الحمام وما أن رأيت ما بداخله ضاقت عيني لبشاعة المظهر، هرعت لغرفتي واتكأت علي الباب أحدق لها:

- إيه الدم اللي في الحمام ده؟؟.

بالكاد اكتفيت من مشاهد الدماء ذلك اليوم.

قالت صديقتي بنبرة ضيق:

- مفيش، أنا تعبت تاني.

شعرت أن الأمر لا يدعي كل هذا القلق بعد أن علمت السبب، منذ فترة وكنت أري الحمام بهذا الشكل، وكان اعتماد صديقتي أنني سأقوم بتنظيف المكان لأنها، بالطبع، لا تملك الطاقة للحركة.

اقتربت نحوها وقلت وأنا انزع الغطاء من عليها:

- قومي! قومي وتعالي نشوف لك حل في أي مستشفي.

نظرت لي بحدة وقالت:

- مستشفي إيه اللي بتتكلمي عليها؟ أنتي هبلة يا بنتي نسيتي إحنا مين وبنعمل إيه؟ أروح أقوله إيه السبب.

رددت عليها بدون سبق تفكير:

- قوليله جوزي، أي زفت بس مش هينفع تفضلي كده، أنتي عارفة أنك لو استمريتي كده هتأذي الرحم أكتر؟ هتفضلي تقاوحي كتير كده وبرده هتروحي.

أبقيت أنظر لها، كنت أفكر بأن أشدها من مكانها لأخرج بها، لكنني انتظرت منها أن تعطيني أية إشارة، فلم تجيب، وأغمضت عينيها بشدة من الألم، ظننت أن يأتِ لها النزيف بصورة مفاجأة مرة أخري، فنظرت لملأه السرير حولها وجدته مجففاً، دنوت نحوها وما إن سحبتها من يدها امتنعت، ودام بيننا الشجار لحظات إلي أن كنا في سيارتها، ارتمت هي بالخلف لتفرد جسدها، وكنت أواجه صعوبة معها في حركة المشي، جعلتها ترتدي سروالاً واسعاً لا يضيق علي وسطها، ودقائق ووصلت بها إلي مستشفي الجوي بالتجمع الخامس، في ذلك الوقت التجمع الخامس يعتبر شبه فارغ من السكّان عن الآن، مما سمح لنا بالدخول بسهولة دون توتر، فكان المرور بالسيارة دون سؤال أو نظر للحالة التي تجلس في الخلف، وعندما مررنا بالاستقبال، أخذت صديقتي أساندها، لاحظت أنه لا

يوجد أحد في المستشفي في ذلك الوقت سوي شخص واحد، وبدا يمر علي الاستقبال ثم سارع بالرحيل، لم يأتِ أحد ليساند صديقتي، بدوت مستغربة لهذا الهدوء في مستشفي كبيرة كمستشفي الجوي. دقائق، وكنّا في غرفة الكشف، فكنت بطبيعة الحال جالسة في الانتظار، والانتظار في مستشفي الجوي بعيد قليلاً عن غرفة الكشف، فلم أكن أري ما يحدث بالداخل أو حتى اسمعه، فأخذت أجلس علي كرسي وأنا أتوجس خيفة من تشخيص الطبيب، فوجئت به إذ يخرج بعد دقيقة من الكشف، تأملت ملامحه بقلق، بدا متوتّراً، ويبحث عن أحد، فمر أمامي وسار يساراً في اتجاه الممر علي طول أبواب عديدة مر عليها، فأوقف ممرضة اعترضت طريقه، وسألها علي طبيب، أشارت له بعيداً، ولم يتردد بأن يبتعد ليأتي بالشخص الذي يبحث عنه، إلي أن اختفي عن أنظاري، بالرغم من أن كان باب الغرفة شبه مفتوح لكن ترددت بالدخول، وانتظرت في هدوء الطبيب، فأتي ومعه طبيب بدا أكبر منه سنّاً من شعره الأبيض، دخل كل منهم الغرفة، دقيقة ووجدتهم يخرجون ليتحدثوا، صوتهم يغمغم بكلام حاولت جاهدة سماعه وأنا جالسة أشاهدهم أمامي يتشاورون.

قال الطبيب الشاب:

– يا دكتور الرحم متبهدل خالص! دي لا يمكن يكون جوزها بيعمل فيها كده، دي زي حالات الاغتصاب والمومس.

بلعت ريقي بعد ما سمعته.

سأله الطبيب:

- طيب هي قالتلك إيه؟.
- بتقولي جوزها بيعمل كده مرتين وتلاتة حتى لو هي قالت لأ.

– مرتين وتلاتة إيه يابني، ده أنا بتباس وأتحط جنب الحيط، هاتلها دكتورة سامية تشوفها أما نشوف أخرتها معاكم.

– بص يا دكتور أنا بفكر نجيب جوزها ده ونكلمه، الرحم كده هيتشال.

– جوزها مين يابني أنت مصدق اللي بتقوله؟! شيلها الرحم متقرفوناش ع المسا.

– طيب احجزها لبكرة؟.

– خليها لبكرة طبعاً لحد ما نعرف حكايتها إيه، وبعدين نبقي نعملها العملية.

سمعت كلام الأطباء وقد شعرت بعدها بقلبي يخفق بشدة، واستهلكت كل نقطة دم في عروقي لتصل إلي المخ فتخفف حدة التوتر، فلم أجد سوي دقائق وتواجدنا أنا وهي في غرفة حجز، كان معنا ذلك الطبيب الشاب، يطالعنا قبل أن يغلق غرفة الباب خلفه.

كنت أراها من قرب حافة السرير حيث استقررت قربها، فأغمضت عينيها، حاولت أن تنام، فباء ذلك بمحاولة فاشلة. نظرت إلي وهزت رأسها يميناً ويساراً وهي تعض علي شفتيها لتمتص الألم. تساءلت ماذا ستفعل إن علمت أنهم سيقومون بعملية نزع الرحم لها؟.

تمتمت لها:

– حبيبي إحنا لازم نخرج من المستشفي دلوقتي.

***

نهضت بجسدي الهزيل من كرسي طاولة الطعام، واتجهت للمطبخ احضر فنجان قهوة، وسألت كريم:

- أعملك قهوة معايا؟.

هز رأسه وقال بتردد:

- ماشي.

وقفت وأعطيت له ظهري لأحضر القهوة، حرصت علي أن أبقي في المطبخ قليلاً لئلا نخرج عن قوقعة الحديث ونفجر مناقشات أخري.

أردف من مكانه متسائلاً:

- طيب أنتي وأنتي رايحة، مش أكيد كنتي تعرفي أن الدكتور هيقول حاجة زي كده؟ ده أنتي ع الأقل في طب.

رددت بسرعة.

- لأ مانا مكنتش لسة خت أمراض النسا، كنت في رابعة.

- إيه اللي أثر علي دراستك؟

لففت رأسي من فوق كتفي لأنظر إليه:

- الموضوع ده حكيته قبل كده. . . تقدر تقول، الكحوليات، الزباين، جابر، والوقت والنفسية، لا كان في حاجات كتير واقفة قصادي.

قلت ذلك وأنا علي اقتناع كامن بداخلي أن ما قيل ليس إلا كذب أخفي به سر غير ذلك.

تابعت بضيق:

- حاجات تانية برده، وأنا اللي استسلمت لها.

نسيت أمر القهوة ولففت لأستند بظهري علي رخام المطبخ، نظر لي كريم باهتمام بينما تابعت:

- الإنسان بطبعه ضعيف.

وأضفت له:

-أنا كنت بروح لمعالج نفسي، من ورا صحبتي ومن ورا جابر وأمي، من كله، بس ده كان في إسكندرية.

- إسكندرية؟!.

قالها باندهاش فأجبت بهدوء:

-آه إسكندرية، مكنش ينفع أروح لأي معالج في القاهرة أو الجيزة، أنا كنت طالبة شاطرة جداً، وكنت بلف علي الدكاترة ومعالجين وأنزل training مع كذا حد فأي حد عارفني في القصر العيني، فكرت أروح في الحسين، بس ملقتش حجة، في الصيف فهمت صحبتي وجابر أني نازلة أسكندرية هعمل training وكده، فصحبتي صدقت، جابر قعد يذلني، لأ ومش عارف إيه، فإديتله فلوس وسكت، بس ده برده من ورا صحبتي، أصلي سرقت الفلوس منها.

-أنا حاسس أنك. . . عايشة عيشة مش كويسة، مش بتكلم ع الفلوس، لكن، نفسيتك كانت عاملة إزاي؟.

هززت كتفي، ورجعت ألتفت للقهوة علي النار، فرأيتها تتصاعد بسرعة قبل الغليان بلحظات أقفلت النار ونزعت القهوة من علي الموقد، وقمت بعمل منزلي بسيط بأخذ فنجان قهوة لأفرّغ فيه.

رجعت أجلس علي الطاولة أمامه ومشيت بحذر نحوه فيما كنت أحمل الفنجان الذي أسودَ وجه.

جلست وابتسمت.

- كانت زي الزفت الحقيقة.

- آه متخيل ده، وبعد ما رحتي للمعالج النفسي؟.

– مرض اكتئاب كان قوي جداً، بعد ما عرفت أن أمي كانت مومس، مخرجتش منه بسهولة لأني لقيت صحبتي كده برده، كان الحل ساعتها إني بروح للكلية واسأل بصفتي طالبة بتدرس عن أدوية الاكتئاب، واللي عملته ده كان أكبر غلط.

– ليه؟.

– مفيش الكلام ده في كتب الطب.

وبدوت مندهشة وأنا أري جهله في الطب، لكنني فسرت له:

– أنا مكنتش متأكدة من اللي كنت بعمله فرحت اقرأ في الindex عن الأدوية دي ومحستش أني استدفت حاجة، فوجئت مرة ببنت اتعرفت عليها، في بداية كلامنا قالتلي أنها هي وواحد بياخدوا courses بس علي النت في الطب وكده، تمهيد يعني، فأنا عشان مكنتش درست طب النفس برده قلت ادخل وافتح الكورسات دي، وقريت كويس عن الاكتئاب، وعرفت التالي، أولاً أني مكنتش باخد الدوا الصح، ثانياً في حالتي، كان لازم أتعرض علي معالج نفسي، معالج مش طبيب لأن في فرق، المعالج هيتكلم معايا ويحكي وأخرج من عنده وأنا مفرغة كل الnegative energy وبعدين ده بيكون خريج علم نفس مش طب، لكن الطبيب، يشخص حالتي وآخد دوا وسلام علي كده مش هيقعد يرغي معايا ولا يطول.

أومأ برأسه.

– آه أنا كده فهمتك، بس. . . المعالج ده أكيد أنتي عشان تحكيله لازم تخاطري بأسرارك.

– مانا لو مقولتش أسراري يبقي أنا بضحك علي نفسي ومش عايزة اتعالج.

– طيب وإيه كان رد فعله؟.

حدقت للقهوة أمامي وأخذت ارتشف منها رشفة صغيرة قبل أن أتابع في تلك المناقشة، لاحظت تحمسي المفاجئ، لازلت أعرف بعض معلومات من الطب لا بأس بها، لكنها ولا تزال قشور القشور لما كنت أدرسه.

هززت كتفي:

– أبداً. . . أولاً هي كانت معالجة مش معالج، وبصراحة تعمدت ده عشان تبقي متفهمة الحاجات اللي هكلمها فيها، لكن نظرة الراجل ليا، ممكن تكون مختلفة ومش فاهم الإحساس يعني إيه أن بنت. . تعرض جسمها قدام رجالة، ده إحساس مهين. . حقيقي يا كريم، عنيا مشافتش النوم من ساعة ما خرجت من بيتي وبقيت أقعد عن صحبتي.

زمّ كريم شفتيه وأخذ يأومأ في رأسه متفهماً، لكنني قرأت في عينيه التبلد والبرود، رغم ذلك تابعت:

– المهم حكيت لها، وبعدين قالتلي إحنا بعد العقد النفسية والبلاوي اللي فيكي دي هناخد وقت طويل، وأنا كنت متفهمة ده، العلاج النفسي بياخد وقت جداً، فكنت في كل مرة بحكيلها، وهي كل دورها، أنها تحاول تفهمني نفسي، تحاول تزبط دايرة الcognitive process، ممم، ممكن تكون متعرفهاش، لكن عمتاً أقصد أن أفكاري تبقي زي مشاعري زي سلوكي، مبقاش مضطربة يا كريم! وعندي خلل في شخصيتي، أني أروح كل يوم الجامعة وآخر الليل في البار، ده تناقض، أنت متخيل بقي إني كنت بعيش ده كل يوم عمل إيه في شخصيتي.

ساد صمت مفاجئ قبل أن يسألني، فترقبته للحظة ورحت أرتشف القهوة.

– طب. . . يعني أنتي خدتي خطوة بإنك روحتي، وعايزة تتعالجي، وخلاص المفروض أن دي أول خطوة في العلاج، والمفروض أنك بعد كده متكمليش في طريقك ده، أنتي أكيد سمعتي الكلام ده منها.

ابتسمت وسألته:

– مين قالك من الأول أني كنت عايزة أبقي كده؟.

تأملني للحظة.

– لأن من كلامك، كل حاجة عمليتها كانت بمزاجك.

حافظت علي نصف ابتسامة ونفيت ما قاله:

– ما أنت أصلك لسة أبيض.

رفع حاجبيه وقال:

– أنتي عارفة كويس أنا هنا ليه، وأنك لازم تكوني صريحة معايا وتديني معلومات عنك عشان أعمل بيها مقال صحفي.

ساد صمت طويل بيننا لم يتبعه كلام، فقط ظللنا نتبادل نظرات غير مفهومة.

الفصل الثاني

قطّبت صديقتي حاجبيها وسألتني:

- نمشي ليه؟ أنا مش قادرة اتحرك.

همست قربها:

-الدكتور شاكك فينا، مش هيعملولك العملية إلا من غير ما يعرفوا قصتك.

- عملية؟!.

أومأت رأسي، ولم يكن لدي الصبر الكافي لأشرح لها ما قاله الأطباء، فسرعان ما شددتها من السرير وخرجنا في الممر، كالهاربة، أتلفت يميناً ويساراً لئلا أري طبيباً يطاردني فيرغمنا علي الجلوس بالغرفة، فلم أري أحداً، كانت الحركة هادئة في المستشفي، ووصل عقرب الساعة في الممر لمنتصف الليل، وما إن وصلنا لسيارة صديقتي جلست جانبي وأرجعت الكرسي للخلف لتنام عليه، كان دوربي وقتها أن عبرت بها خارج المستشفي، ولم أجد شيء أفعله، فللحظة تذكرت جابر، سيجيد التصرف في هذه الحالات، لذا انعطفت بالسيارة في شارع التسعين جانب أحدي الفيلات التي لم تسكن بعد.

قبل أن أنزل نظرت لصديقتي، وجدتها نائمة لا تدرك شيء حولها، لم انتهزها فرصة، خرجت من السيارة وأخذت هاتفي من جيبي اكتب نمرة جابر، سرعان ما رد علي:

- ألو، أنتي فين؟.

صوته جاش.

أجبته:

- أنا. . في التجمع، ليه؟.

-التجمع، إيه اللي وداكم هناك تاني، لا بقولك إيه أنا عايزك النهاردة والشبكة عندكم زفت فموبايلك مكنش بيجمع.

- عايزني النهاردة إزاي؟

- جرا إيه مالك مانتي اتلغالك معاد ومعملتيش حاجة.

- أنت عرفت؟.

-أنتي عبيطة؟ أنا يستخبي عني حاجة؟ حتى بالأمارة اللي دخلوا الأوضة دول اسمهم نور وكارم، المهم من كل ده تجهزي دلوقتي وتقابليني في الهرم وأنا هعدي عليكي، ومسمعش كلمة لأ.

أغلق الهاتف في وجهي بدون أن أخبره ما مررت به اليوم، إذا كانت أخباري له مع الزبائن تصل له فهل يعرف ما تمر به صديقتي الآن ولا يبالي؟.

***

قلت أتابع لكريم:

- وتخيل كان مين الزبون ساعتها؟.

سألني بدون إبداء اهتمام:

- مين؟.
- نور. . . أخوك.

لم يجبني، وظل يحدق لي، فتابعت:

- اللي أنت فاكره بقي أني أول مرة كنت شوفته كان في العزا.

احمرت عينيه فجأة واخذ يدافع عن الشرف:

- أنتي كذابة! نور أخويا مش هيعمل كده مع واحدة زيك!.

للحظة ندمت أنني جعلته يدخل المنزل، كنت أعلم جيداً أن هذا سيحدث، لكنني صبرت لأصل إلي نقطة مهمة.

تعصبت عليه ورددت بغضب:

- أنت أهبل؟ يعني هتبلي علي أهلك ليه دلوقتي؟.
- أنا إيش عرفني، ما يمكن بتقولي ده عشان متخلينيش أكتب المقال.

ضربت يدي علي طاولة الطعام، لكن لم أعتمد إصدار صوت عالي.

- لا ده أنت أهبل فعلاً.

***

تشاجرت مع ذلك القواد، غبي لا يفهم، عديم المشاعر وجشع، كل ما يهمه مصلحته، حتى لم يكلف نفسه بأن يعلم بأمر صديقتي، أوقفني بسيارته أمام عمارة، نظرت من نافذة السيارة لأري عمارة من أحدي عشر طابق لا يوجد فيها أي شرفة مضيئة، وبدا الوضع مخيفاً نسبياً، لكن جابر عادةً لا يتركني اصعد بمفردي، وعندما رآني أطيل في النظر من خلال النافذة فمال نحوي وفتح لي الباب، خفق قلبي فجأة عندما أحسست بأنفاسه تقترب مني، شعرت بالقرف منه، لا أطيقه ولا أطيق رائحته، لكن سخرية القدر جمعتنا.

صعد معي علي السلالم، إلي الطابق الثالث، نظر إلي وتركني، لم نتكلم، هو يعلم وأنا أعلم أن كلانا يكره الآخر لعنادي المستمر في كل مرة يطلبني فيها.

كعادته، سينزل من العمارة ويجلس في سيارته لنصف ساعة ليتأكد أنني لم أهرب، ولا أنكر أنني فكرت كثيراً أن اجلس نصف الساعة هذه علي السلم ثم أعطيه مالاً من مال صديقتي، لكنها، في مرة رأتني آخذ نقوداً من حقيبتها، وكان رد فعلها أنها لم تخبر جابر أو تسألني، فرحت أقيم علاقة وأعدت لها النقود في حقيبتها، وجابر يأتي بمشوار سريع ثم يعود ليأخذني، فلا مفر.

طرقت الباب ليفتح لي ذو العيون الرمادية، أليس من الغريب ان يرسلني جابر إلي رجل جنسيته مصرية، علمت حينها أن نور هو من طلبني بالمواصفات.

كنت متعبة وجسمي يرهقني بشدة، وإذا حاول أحدهم التقرب مني سأحاول حرقة.

ترك لي مجال لأدخل الشقة، فسرت للداخل قليلاً، كان تصميم الشقة جديد، ويبدو من الأثاث أن عمره لا يتجاوز السنة، لكنه علي الأقل ليس قيّم، لاحظت أن معظم أثاث الشقة مغطي بغطاء أبيض، وبعض أركان الشقة بها أتربة، يبدو أنه يهجرها أو خصصها من وقت قريب لأعمال الدعارة، أياً كان لم أهتم، اقتربت من كرسي في الصالون ونزعت الغطاء من عليه، بدوت عصبية في رفعي له، رأيته يلاحظ ذلك، لكنه لم يعلق علي هذا.

لا يبدو من هؤلاء الرجال الثرثارة، وبدا هادئاً، يتحرك نحوي بثقل، فابتسمت، لكن بمجرد أن لامس يدي أرجعتها للخلف في حركة سريعة واتسعت عيني:

- أنت فاكر أنك هتلمسني؟.

- أمال أنتي جاية تشربي شاي؟.

هذه أول مرة اسمع نبرة صوته، كانت نغماته هادئة لأتأكد من طابع شخصيته.

- افتكر أنك سمعت اللي قولته، وأتفضل ابعد.

بالطبع لم يسمعني، أو سمعني ولم يكثر لي باهتمام، إلا أنني لم أبالي لأمره وكل ما أفكر به أنني احتاج لراحة جسدية لأسبوع، ولأنه هو وجابر لن يتفهموا سبب احتياج تلك الراحة فلن أبرر تصرفي كثيراً.

شعرت للحظة أنني احتاج لسيجار، كيف لي أن أمضي ست ساعات لم أشرب سيجاراً واحداً؟!.

رجع نور للخلف خطوة، وفي حركة سريعة خلع قميصه ليظهر تحته عضلات صدر وبطن قوية، لم يبدو أن هذا من التمارين، وبدا عليه القوة، عظام كتفيه بارزة وعروق رقبته، خفق قلبي بشدة، هذا النوع، أعجب به واستسلم له بسهولة.

أشحت بنظري بعيداً، لكنه اقترب مني وعاد يشدني من ذراعي، شعرت بيده قوية أكثر مما سبق، بالرغم أني رأيت يديه تمسكني في راحة بالنسبة لقوته، ضاقت عيني وأزحته عني، فتنهد وأخذ يبتعد عني نهائياً، توجه للمطبخ ودخله فأصدر بالداخل صوت فرقعة وصوت زجاج يتصادم، حسناً. . . إنها الشمبانيا، للحظة، شعرت أنها حركة ذكية منه أن يتجاهلني ويتجاهل نفوري منه.

أخرجت هاتفي من حقيبتي، وفتحت الكاميرا، أخذت التقط له صوراً وهو يخرج من المطبخ حاملاً زجاجات الشمبانيا، رآني أفعل ذلك فتسمر في مكانه للحظة متسائلاً:

- بتعملي إيه؟.
- بصورك. . .

كان ردّي بارداً أكثر من اللازم.

***

سألني كريم:

- معاكي الصور دي؟.

هززت رأسي وقلت:

- لأ. .
- أنا قلت برده. . . نور مستحيل يعمل كده.
- أنا مش قولت لك أنت شكلك متعرفش حاجة.

***

من علامات الساعة انتشار الزنا والجهل وغيرها من مظاهر تفسد أعمار الأرض والحياة الإنسانية، وهناك كتب مقدسة وأحاديث شريفة نهت عن ممارسة الزنا، ولا أريد أن أذكر شدة العقاب ووقوع غضب الله علي عبده إذا فعل تلك المعاصي، فذكر تلك المعاصي يجعلني أعيد تفكير في حياتي كلها بشكل عام، والزنا لا يتعلق بالخيانة المتزوجين، أو ممارسة علاقة كاملة، فقد يكون الزنا النظر إلي المحرم، أو الاختلاء بالجنس الآخر دون محرم، وبهذا، نعتبر كلنا مزني، وفي آية تحرم الزنا «لاَ تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلا».

تحدثاً عن تلك المعاصي، والأحاديث التي أحفظها من كتب الدين الدراسية، فأنا لا أذكر أني تعلمت شيئاً عن الثواب والعقاب في ارتكاب معاصي الزنا، كانت معلوماتي عنها قليلة، ولا اذكر شيئاً عن الثقافة الجنسية تعلمانها

بالمدرسة، بالرغم من ذلك فشعوبنا تحيد الثقافة الجنسية عن تعاليم دينها، الفضل للحكومة التي جعلت مجموع التربية الدينية خارج المجموع الأساسي، لا ليس هذا كل شيء، تساءلت في مرة لِمَ لم نطالب بحفظ سورة يوسف وسورة الحجرات، فهما يضمان أساليب تعليمية للحياة الإنسانية بشكل عام من التعاملات الشخصية والطعام والشراب والردود، فيما النهي عن الفحشاء والمنكر، اذكر ذات مرة، دخل مدرّس قرآن، وابتعد في حصته عن تعليم القرآن وحفظه، بدأ يتحدث عن النار، ويخبرنا كيف تنقسم جهنم إلي سبع طبقات، فحدثنا عن رحلة الإسراء والمعراج مفصّلة، إلا أنه لم يذكر الجنة، بل فصّل في كلامه النار، وكيف يعاقب الإنسان من لسانه وتلف الأغلال من لسانه إذا تفوه بخطأ، كالنميمة، وكيف تشهد علينا أيدينا وأرجلنا، حاول وصف يوم الحساب بدقة، فكانت رسالته الأخيرة من كلامه أن ينهانا من ارتكاب المعاصي والمحافظة علي الصلاة، وذهبت له ذلك اليوم حيث كان جالساً في الفصل خلف مكتب المدرسين، كنت لأسلّم له كراستي، فقبل أن يأخذها جاءت طالبة من الفصل، اذكر يومها أنني كنت في المرحلة الابتدائية وعمري لا يتجاوز العشر سنين، لكن ذكري ذلك اليوم محفورة في ذهني. سألته زميلتي بالفصل:

– مستر، طب أنا بصلي ومحافظة علي صلاتي بس في صلوات أنا فوتّها، أصليها برده؟.

– آه لازم تصليها، كل صلاة بتفوتك بتتحاسبي عليها.

وعندما تسأل بعض الناس عن الله، فستري صورتين لله في ذهنهم، الله الرحمن الرحيم الذي يرزق عباده ويستحي إذا رفع له عبده يده فلم يجيب دعاءه، الله الذي يقبل التوبة ويفتح أبواب السماء فينزل بالمطر والخير، وغير ذلك، والصورة

الثانية لله عز وجل الذي يغضب من عبده إذا عصاه ويهتز عرش السموات والأرض عند ارتكاب الفحشاء، الله الذي يحاسب علي كل كبيرة وصغيرة قد لا تدركها فتخاف منه، وتفكر أكثر من مرة قبل أن ترتكب شيء خطأ، لكن بالحالتين الإنسان هو من يعكس صورة الله من أفعاله ليس أكثر.

تجنبت تلك الأفكار للمدى البعيد ونهضت من الكرسي لأرحل عن ذلك البيت الفقير، والفقر هنا فقر حياة، كان بيت نور لا يحتمل فيه الجلوس أكثر من ذلك برأيي، لم أهتم لنظراته التي تفحصتني طيلة الوقت كأنه يتأمل في لوحة زيتية. أغلقت هاتفي واحتفظت بصوره عليه، ولم يعلق أو يفعل شيء، أتعجب لثقته، كأنه يضمن مجيئي له فيما بعد!.

لم أغلق باب الشقة خلفي، تبعني واتكأ خلف الباب يرمقني من بعيد حتى اختفي أثري لداخل المصعد، غريب هذا الرجل!.

ومن كان ينتظرني بالأسفل؟ ذلك القواد الوغد، انتفض من سيارته وخرج إلي، فوقف أمامي ليقطع طريقي، تنهدت تنهيدة طويلة، سمعت وقتها موشحات قديمة أعتدت عليها في كل مرة أنزل من عند زبون مبكراً.

نفثت نفساً طويل وأنا علي وشك أن أفقد صوابي منه ومن صوته.

– جابر! ريحني منك يا أخي وسيني في حالي، سيبني أعيش حياتي ولو لمرة صح.

– تاني التخاريف اللي بتقوليها دي! ما أنتي شايفة، لا شهادة ولا كلية نفعوكي ومرمية في الشوارع، حتى أمك، بزمتك تعرفي هي عايشة ولا ميتة؟.

نظرت له بعينين فارغتين، إصابة السؤال في منطقة حساسة جعلني أستشيط غضباً لكنني كتمته.

- في الشارع في الشارع، أنت إيه مشكلتك؟.
- مشكلتي أنكم بتجبولي فلوس.
- خد الزفت فلوسي وحل عني.
- فلوسك إيه يا بنت الك**!.

وبدأ في السب والقذف بما لا تتخيله الآذان، فتصنعت الصم، وتناهي حديثه بشعلة من الغضب بدا أن تهدأ إلي أن دخل سيارته، ودفع الباب خلفه ثم رحل، وتركني، ليست عادته، مهما غضب مني كان يأخذني معه ويوصلني للبيت ليطمأن أنني سأهدأ وأعود معه مرة آخري، لكن يبدو أنه سئم مني ووجد فتيات أخريات.

كنت بمفردي، في شوارع الزمالك ليلاً حيث لا يوجد أحد.

كست أضواء صفراء شوارع الزمالك لتهيج سكون الليل، فاللون يصيبني بصداع. في ذلك الوقت عادتاً لا أكون نائمة، فيومي يبدأ بعد منتصف الليل كالخفافيش.

فلسفة العقل تظهر ذلك الوقت، وتتصدع الدماغ بأفكار عميقة عندما تكون بمفردك، ولا أتساءل من أين آتِ بتلك الحكمة.

عندما غادرت منزل والدتي، أصرت والدتي علي أن تعرف مكان إقامتي، لكن ذلك بعد وقت طويل من غيابي، أي شهر تقريباً. علمت أنني أسكن عن صديقتي، فأتت بى يوماً، وجلسنا سوياً في مقهى، بقينا صامتين لفترة، ترقبت فنجان القهوة أمامها إلي أن برد، ولم تمسه، ولم أمس الطعام التي طلبته لي. بعدئذ، أخذت تعتذر، تحاول تبرئة نفسها أمامي، فابتسمت ابتسامة صغيرة وأومأت برأسي، لكنها كانت تملك الصبر والجهد في أن تعيد ما قالته بصيغة أو بآخري

حتى أكون علي أتم الاقتناع أنها لم تكن تريد طريق الليل، فعدت أومأ رأسي لرتابة الحديث، لكن بعدها وجدتها تحكي لي قصة كنت أجهلها عنها وعن أبي إذ قالت:

-أتعرفت عليه زيه زي أي حد، بس كنت بشوفه كتير في الكباريهات، حبيته وقالي نتجوز، بس يكون جواز عرفي، وبعدين حملت فيكي، أول ما قلتله قالي تنزليها عشان الفضايح، بس كان الوقت متأخر لأني قلتله ده وبطني بدأت تظهر، وساعتها، لو نزلتك كنتي هتموتي وهموت وراكي.

وانقطعت العلاقة، للأبد تقريباً، كان جابر محقاً عندما قال لي أني لا أعرف حتى إن كانت والدتي علي قيد الحياة أو ماتت.

***

أضفت لكريم:

-بعد ما جابر رماني رحت كباريه الهرم، قابلت وشوش مش عايزة أشوفها، وضحكت وهيصت مع ناس لا بطيقها ولا بتطيقني، بس طلعت بفلوس حلوة اليوم ده، فضلت للساعة تسعة الصبح في الكباريه، لحد ما كان بيشطب، وخت بعضي وطلعت علي الجامعة.

سألني بإندهاش:

- روحتي تحضري؟.

- احضر؟.

ضحكت، ثم تابعت:

-غبت سنتين وقدمت شهادة مرضي، بس المفروض أني لو كملت السنتين بزبط ورقي يتسحب من الجامعة، فرحت أقولهم أني هرجع من أجازتي.

-أنتي من كلامك ومن طريقتك في تلاوة القرآن والآية اللي قولتيها، يعني بسم الله ما شاء الله عليكي، أنتي ساعتها كنتي بتفكري تتوبي وترجعي للكلية خلاص؟!.

-وحياتك من قبل ما أكون كده كنت عايزة أسيب العالم باللي فيه.

-ليه معملتيش كده من بدري؟!.

-أنا إنسانة مش سويّة، مزاجية أوي، كل يوم بحالة، بعمل حاجة وأنا جوايا عايزة أعمل العكس، بقول أن في حاجة وحشة بس أنا من جوايا شيفاها حلوة، بقضي علي أحلامي وعلي نفسي بكلامي مع نفسي كل يوم، بإني مش كويسة، وأني مستاهلش أعيش، وأني وحشة.

-وحشة!؟.

حدّقت إليه للحظة، ثم أومأت.

-آه! أنت تعرف أن من أسباب خنقاتي أنا وجابر أحياناً، أن صحبتي بتوصله كلام بأني كنت بستحمي بالبيبسي.

- وليه كنتي بتعملي كده!؟.

-جت عليا فترة اتخنقت من أن جابر مش عايز يسيبني، رحت حطيت بيبسي علي جسمي وشعري عشان جلدي يخشن وشعري يبوظ، بس مكنش في نتيجة.

-بس أنتي مش وحشة!.

-أنا عمري ما كنت حلوة.

-غريبة، طب إيه تاني؟.

– مممم، بحب أقعد لوحدي. . . لوحدي ومشوفش ولا أكلم أي بني آدم لمدة شهرين مثلاً، بحب أبعد عن الفوضي اللي أنا عايشة فيها.

– بس بترجعيلها برده.

– مكذبش عليك. . . آه.

– أنتي فكرتي في الانتحار؟.

– حاولت كتير يا كريم، ونقلوني في مستشفي، بس اتعالجت.

– إيه إحساسك طيب لما رجعتي لكليتك؟ يعني أكيد مبسوطة.

– مش زي ما أنت متخيل.

***

اترك لقلبك لحظة ليستمتع بذلك، لكن سخرية القدر حطمت كل ما هو جميل، وفقدت متعة كل شيء، مشيت في ساحة القصر العيني وتأملت المرضي علي جانبي، يميناً ويساراً، فمنهم من يجلس مكانه ومنه من يتنقل علي كرسي، كنت أظن أنني في يوم سأسخر نفسي لمعالجتهم حتى أصبحت مريضة مثلهم، مريضة في العقل والجسد.

تهالكت قواي، وسرت ببطء إلي ناحية مكتب الإشراف، فوقفت أمام مكتب أحدي الموظفين وملت نحوه قليلاً ليسمعني وسط الضوضاء التي تعج خلفي من طلبات الطلبة.

– لو سمحت، أنا كنت مقدمة علي مرضي بقالي سنتين، بس عايزة أرجع للكلية.

– اسمك إيه؟.

قلت له اسمي كاملاً، فأخذ ينهض من مكتبه ووقعت يده علي ملف أسود كبير، سحبه ورجع لمكتبه يقلب فيه بسرعة كأنه يحفظ الصفحات بما فيها، تابعت عيني معه، ووضع طرف إصبعه علي اسمي ليري سنين الغياب.

رفع رأسه لينظر لي:

-أنتي لازم تمتحني تحضري امتحانات السنة دي وإلا مش هتبقي مقيدة في الكلية.

سألته بدهشة:

- امتحن؟! هي الامتحانات امتة؟.
- الامتحانات كمان شهرين يا آنسة.
- ماشي شكراً.

وذهبت بتهذيب من مكتب شئون الطلاب، أتجول داخل ممرات المستشفي بعد أن أصابني ذلك بأخبار غير مرحبة بها، شعرت بدوار خفيف واحتجت إلي أن اذهب إلي الحمام.

كانت صدفة أن أتواجد بنفس دورة المياه التي تركت فيها ذكري، في نظري كطالبة من كلية طب فهي تعتبر ذكري جميلة وإيجابية في خطوات تعليمي، ألا وهي يوم التشريح حيث انتهيت من محاضرة تشريح الجثث وكنت خارج المشرحة، وتبعتني وقتها صديقتي وبنات أخريات ليسارعن بغسل أيديهن، كنت أرتدي المعطف البيض حول جسدي، وكنت جميلة بدون مساحيق التجميل، في يوم كهذا اليوم كنت بنفس المكان بمشاعر وحياة آخري.

نظرت لنفسي في المرآة، وابتسمت بمرارة.

حاولت جاهدة أن انسي تلك الأيام الجميلة بشكل أو بآخر، ودخلت الحمام ثم أغلقت الباب خلفي وارتميت بالداخل علي الأرض. شعر بالأرض تدور حولي والصورة تهتز في عيني بعنف، أردت تحريك رأسي لكنني شعرت بصداع قضي علي حركتي، رفعت رأسي للأعلى ونظرت لسقف الحمام بنصف عين وأصدرت آهة بصوت واضح.

لم أدرك وقتها أن هناك فتاة في الحمام، سمعتني والتفتت لصوتي فطرقت علي باب الحمام:

- حد هنا؟.

هذا ما قالته علي ما أذكر، وقتها كنت مغيبة، والألم يتمدد من أطرافي إلي معدتي فيقسو علي أحشائي، شعرت بمعدتي تفتك ولا أعلم السبب، فتابعت إخراج الألم بصورة آهة أحاول كتمها.

دخلت فتاة آخري حينها، فنظرت الأولي للثانية، وسألتها الثانية بتعجب:

- في إيه عندك؟.

- مش عارفة، الظاهر في حالة جوه.

حالة! بأساً، تحولت من طالبة تدرس الطب إلي حالة!.

ردت الثانية:

- طيب ما تفتحي شوفي في إيه.

- ما أنا عمالة بخبط وهي مش راضية تفتح، تعالي زوقي الباب معايا كده.

واقتربوا سوياً وبدئوا في دفع الباب نحوي، فكان يفتح للداخل، وحينها دُفع جسمي أيضاً مع حركة الباب بعد دفعة قوية من أربعة أيادي.

فتح الباب بمقدار سمح لإحداهن بأن يعبر منه، فدخلت الثانية ورأتني ملقاة علي الأرض وبجانبي فضلات طعام ومشروبات تقيأتها.

شهقت الثانية:

- دي شكلها مغمي عليها، بقولك إيه إيدك معايا نوديها المستشفي.

سبحتني الثانية من أذرعي وحاولت مساندتي بصعوبة علي ذراعيها إلي أن أخرجتني من داخل ذلك الحمام الضيق، وكنت استند علي كتف الاثنين، لم أكن قد فقدت وعيي بعد بل رأيت الأرض من تحتي تتحرك فأدركت أنني انتقل من مكاني، لكن لم أستطيع معرفة إلي أين اذهب.

لم أشعر بنفسي إلا عندما كنت في وسط سرير، جالسة عليه القرفصاء. قطبت حاجبي وبدأت أري الصورة أمامي واضحة، فما كان إلا طبيب جالس علي حافة السرير وينظر لي بتركيز.

تمتم متساءلاً:

- أنتي كويسة دلوقتي؟.

هذا السؤال يعني منه أنه ناولني دواء، فأومأت برأسي:

- آه، بس أنا خت إيه؟.

قام من أمامي وتحرك إلي أن وصل إلي مكتبه:

- لا أنتي مختيش حاجة، هما لما جابوكي علي هنا عملت كشف وملقتش عندك حاجة، فسيبتك لحد ما تفوقي لأنك كنتي بنص وعيك.

- ممم، شكراً.

هذا يتكرر كل يوم، بعد كل وجبة، لدرجة جعلتني أعتاد علي ذلك، أغضب للحظة وأشعر بقرف من الأكل، لكن أعود إلي تناوله ثم أتقيؤه، فنحل جسمي وضعف أكثر من اللازم.

مررت علي كثير من أطباء الباطنية يقولون نفس كلام هذا الطبيب، بأن جسمي سليم ولا يوجد سبب علمي للشعور بهذا الألم.

وعندما لا يجد الإنسان الإجابة علي أسئلته فهو يخترع لها إجابات، أو أنه يفكر بطريقة أخري.

ذهبت من قبل إلي أحدي الشيوخ، وسألته عن المال ومصادره، فسألت أيضاً عن المال الحرام، عن عقوبته ومتاعبه، وقد قرأ علي آية قرآنية «يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ»، وقال لي أن الله سيسأل عبده من أين ماله؟ ومن أين أنفقه؟ وانعطف حديثنا بأنه أعطاني بعض النصائح والنواهي، وكل هذا دون أن يعرف حقيقتي، لكنه قال لي تجنبي المال الحرام وأن هذه الأموال بسببها تدمر الشباب والأجيال، كما أنها سرعان ما تنقضي وتذهب، لكن، الإنسان بطبعه لا يتقبل النصائح ولا يسمع لها، إلا من كان في قلبه وعقله الحكمة، وهي مرحلة لا يبلغها الأغلب إلا من بلغ به العمر الثلاثين أو الأربعين، أي بعد ما رآه من عفن في الحياة.

عدت لمنزل صديقتي في التجمع، دخلت الشقة ولم أترك لنفسي الكثير طاقة لأتحرك بها خطوة إلي الغرفة فنمت علي الأريكة، وفردت جسدي في راحة، بالرغم من شدة التعب ذلك اليوم، وأنني جاوزت ميعاد نومي بساعات أي أنني أشعر بالنعاس والإرهاق عن أي مرة سبقت، لكن تلك الأفكار لم تتركني أيضاً، وهاجمتني

بعنف، تصارعت معي بالذكري الماضية ومشاهد جسدي، فانصهرت ليلتها في الدموع، وانفجرت بالبكاء.

والكوابيس الليلية، لا تتركني أبداً.

يقولون أن النسيان نعمة ونقمة بنفس الوقت، لكن النسيان في الواقع نعمة ولا يحق القول غير ذلك إلا إذا كنت مصاب بألزهايمر.

يُخلّف المخ بقايا أحزانك بداخله ويحتفظ بها، لأن الإنسان بطبعه سلبي، وما يحدث حولك، فتسعون بالمائة منه سلبي، لذا لعلك تفاجئ كيف نبقي علي قيد الحياة إلي الستين والسبعين سنة بتلك الذكريات؟ والأمر أن ذاكرتنا ليست حديدية، لكن، الحزن يصيبك أضعاف ما يصيب الذاكرة والتوصيلات العصبية ما يصيبه السعادة، وبالبحث والتنقيب في التعاليم الالكترونية التي تلقيتها في طب النفس وبالاقتران إلي أدلة شبه غير مقنعة علمياً، فيقولون أن الصلاة تخلص من الحزن، هناك بعض الناس لا يقتنعون بذلك، أجل، في الحقيقة، عندما فكرت في الصلاة، خشيت أن أقابل الله بهيئتي، خشيت أن أقابله وأنا لا أشعر بطهارة جسدي، وفي كل مرة كنت أتردد بشدة فامتنعت الصلاة لفترة طويلة.

بدأ ذلك عندما كنت صغيرة.

كنت في الثانوية وكنت بالسادسة عشر من عمري، وكان كل ما أملكه، جمال الوجه ومعدل ذكاء عالي، وبما أن مجتمعنا لا يصب الاهتمام علي الذكاء فدعنا منه من تلك القصة.

مأساة عند دخولي الثانوية، والدي كان في مخيلتي أنه متوفى حينها، فكنت آخذ من والدتي القليل من المال يكفيني لشراء كيسين من الشوكولاته ليس أكثر، ففي طريقي للمدرسة كنت أركب مواصلات، لأن بالأحرى المدارس في منطقة

الزمالك ثمنها مرتفع للغاية، فانتقلت لمدرسة حكومية بعد قضائي سنتين في مدرسة خاصة، حينها كان والدي يرسل مرتب أقل لوالدتي فاضطرت لفعل ذلك، ولم تكن مدرسة مختلطة.

كنت أتلقي المعاكسات، واسمع من المديح غزل صريح، فشعرت بالرجال من حولي بدئوا يفتنون بى، وأنني كبرت في السن بالفعل وجسمي نضج.

بأحد الأيام رجعت من المدرسة وأنا أحمل معي كتاب يدعي (جمالك.. يا آنسة!!) وهو بدوره يتحدث عن مشاكل حساسة قد تواجه الفتيات في الاعتناء بأنفسهم، وكان الكاتب طبيب فكان يتحدث عن تفاصيل في جسد المرأة حتى ذكر كل شيء بدءاً من الوجه إلي المناطق الحساسة في الجسم، وهذا الكتاب، فيما بعد استوعبت أنه للعرسان وليس لأي آنسة، لكن بالرغم من ذلك كنت أخفيه من أمي وأضعه تحت السرير وعند الحاجة ابدأ في القراءة قبل النوم، فكانت هناك جملاً لا أفهمها، كالحديث عن الجهاز التناسلي، ووقتها لم يكن هناك انترنت أو فيديو أو اختراع الدش، فكنت بدوري اذهب للمدرسة معي الكتاب وأعطيه لصديقتي بالفصل تقرأه وتفهمني ما به، لكن عامة الآن لا أحد يمسك كتب أو يسأل أصدقائه إلا بعد أن يتصفح علي الانترنت.

كانت صديقتي تدعي بسنت، من المنصورة، علمتني بعض الأشياء وبدأ حديثنا في العلاقات بين الرجل والمرأة بشكل صريح، كنت استمتع بالحديث معها، قالوا لي أن ابتعد عنها لأنها تلفظ بالشتائم وكل ما يضر لكنني كنت أفخر بها، كأني أصادق شخصية مشهورة، وأعجبت بها، فكنت أصاحبها في أماكن كثيرة، إلي أن جاء يوماً وقالت لي أنها ذاهبة لتقابل صديقها.

- بقولك إيه أنا رايحة أقابل البوي فريند بتاعي النهاردة، ما تيجي معايا.

وقعت كلمة «بوي فريند» وقع الغرابة علي أذني.

- بوي فريند!؟ إيه ده أنتي مصاحبة؟.

- هو أنتي معندكيش بوي فريند؟!.

أنعكس الأمر وبدوت أنا الغريبة في نظرها.

هززت رأسي نافية وقلت في خجل:

- لأ. . .

- هههه، يا خايبة، خلاص تعالي معايا.

ضحكتها سخيفة، استفزتني بها فذهبت للبيت يومها وقلت لنفسي هل أذهب معها أم لا، لكني لا أملك المال الكافي للخروج، لذا سأتصل بها واعتذر، لكن، بسنت ستقول أنني ضعيفة ومملة، ووقتها اتصلت بى لتأكد علي أنني سآتِ، فرددت عليها في سماعة الهاتف:

- لا معلش أنا مش معايا فلوس أخرج بيها.

- هههه، فلوس إيه يا عبيطة، هبقي أديكي خمسين جنيه وابقي رجعيهالي أما يبقي معاكي فلوس.

كانت الخمسون جنيه وقتها مبلغاً لا أحلم بامتلاكه، ولم أحملها من قبل، وهو ما يساوي خمسمائة جنيه في القرن العشرين الحالي، فقلت نافية:

- لا لا لا، خمسين إيه وأرجعهالك إزاي.

- يا بنتي بعدبيين، يالا انزلي بس.

استأذنت والدتي بالخروج وأخبرتها أنني سأصطحب بسنت، ونزلت بالفعل، ليس لأني أريد فعل ذلك، لكني نزلت حتى لا تقول علي أنني مملة وشخصيتي لا

تروق لها. نزلت لشقة بسنت أولاً، أدخلتني غرفتها وتفحصت ملابسي الطويلة، ثم قالت بسخرية:

- إيه الإسدال اللي انتي لبساه ده؟ إحنا رايحين جامع!؟.

احمر ت خدي وأنا أعيد النظر إلي ملابسي، لم يعجبها، فتابعت:

- استني هجيبلك حاجة من عندي.

- ماشي.

قلتها بسرعة، ورحبت بما فعلته، فأخرجت لي ملابسها، لكنها كانت بمقاس أصغر مني، إلا أنني ارتديتها، وخرجت من حمام غرفتها فلمعت عينيها وهي تقول:

- إيه يا بت الحلاوة دي، لا استني انا أجيبلك حاجة أحلي من ده تلبسيها.

أتت لي بفستان قصير عند الركبة تقريباً، فقلت لها بإعتراض:

- بس ده قصير أوي.

- فكي يا بت وألبسيه، خليكي زي بقية البنات وبلاش العقد دي.

انتهيت من الملابس وجرتني لمرآة غرفتها فأخرجت من درجها مساحيق تجميل باهظة الثمن، لمعت عيني ببريق عندما رأيتها، وأخذت تعلمني وضع الكحل ورسمه، ووضع بقية المساحيق علي وجهي، وبعد أن انتهت ونظرت للمرآة لأترقب نتيجة تلطيخ بشرتي بمساحيق تذيب عمر الجلد، فأعجبت هي بشكلي وبدأنا بالحركة من منزلها.

دخلت بى بسنت في مكان قلت به الإضاءة، احتوي علي أحبال من المصابيح بسقفه يضيئون علي كراسي وطاولات تجاورها شباب في الجامعة كانوا يشربون الشيشة.

خفق قلبي بشدة مما يحدث، أردت الهروب بأي حال، شعرت برجلي تتردد بالدخول لكنها دفعتني، وجلسنا سوياً ثم اجتمع حولنا شباب في السنة الثانية من الجامعة، واحد منهم يدعي وليد وهو صديقها كما أعلمتني، كان قريباً منها ويتحدث معها بصوت خافت لم يصل لأذاني، لكن مما رأيته بدا أنها مشهورة ومحبوبة من الفتية هنا، فأعجبت بذلك، وشعرت وقتها أني أعرف شخصية مهمة ومعروفة بين الناس، فأردت أن أكون مثلها ويلتفت إلي الناس، لكن ليس بهذا الشكل الذي تفعله.

ألتفتت بسنت إلي فجأة:

- تشربي شيشة؟.
- أه أوكيه.

قلتها وكأنني اشرب الشيشة كل يوم، فعلت ذلك لأني خجلت من قول لا. بعدئذ، ابتعد وليد عنها، واقترب مني، قالت لي أنه أعجب بى ويريد التحدث معي، فتفاجئت أنها لم تغضب أو تصدر سلوك يمعنه عن ذلك، ودعته يقترب ليجلس جواري، حدثني وأخذنا نتكلم في كلام لا أذكره، لكن مع الوقت لمس كتفي وحاول أن يمسك يدي، فشعرت بعروقي تجمد كأنها تجلطت فجأة، وأردت أن ابتعد عنه، فنظرت للساعة ووجدتها الحادية عشر، انتفضت من كرسيي:

- ياهوي أنا اتأخرت لازم ارجع البيت.

نظرت لي بسنت وقالت بهدوء:

- يا بنتي خليكي لسة بدري ده السهرة بتبتدي.
- لا بجد يا بسنت لازم أروح دلوقتي.
- خلاص استني هتروحي إزاي؟.

- هركب مواصلات.
- لا استني خلي وائل يوصلك بعربيته.

لففت رأسي قليلاً لأري شاب في الجامعة يبتسم لي بخبث وقام من مكانه فجأة ثم مد لي يده ليأخذني إلي سيارته، فذهبت معه، جلست لجواره إلي أن وصلت بيتي، ويومها صرخت والدتي في وجهي وكانت أول مرة أضرب فيها بكفها علي وجهي.

طلبت مني أن تري بسنت، وكانت تفهم أني ذهبت لبيتها ليس أكثر، فوجئت ببسنت تتصل بى ورحبت بفكرة أن تأتي لمنزلي، ورأيتها دخلت بملابس واسعة لم أراها في دولابها من قبل وعلي رأسها حجاب، وعرفت والدتي أنها تدرس في الجامع وتحدثت بذوق مع والدتي فأعجبت والدتي بشخصيتها ولامت نفسها أنها عاقبتني علي تأخيري، في هذا اليوم سألت بسنت بعيداً عن مسامع والدتي التي استقرت في غرفتها:

- أنتي عاملة كده ليه؟.
- أمال يا بنتي، لازم أعمل كده قدام مامتك.

صمت للحظة.

قالت بسنت:

- بصي، بصي جبتلك إيه.

رأيتها تخرج من جيبها سلاسل فضية وخواتم، وعندما سألتها عن الشخص الذي أتي بها إليها فقالت لي اسم أحدي المشاهير الذي قابلها وأهدي لها هذه الهدايا، فيما بعد علمت أن هذه الأشياء كانت مقابل لليلة قضوها سوياً.

أفقت من تلك الكوابيس التعيسة، تتكرر كل يوم بنفس الأحداث الرتيبة.

استيقظت علي صوت صديقتي:

- حبيبي، اصحي الساعة بقت عشرة، إيه النوم ده أنتي كنتي فين؟!.

فتحت عيني بصعوبة، وأول ما لامسته هاتفي من جيبي، نظرت فيه لأجد الساعة عاشرة مساءاً.

همست في تعب:

- سيبيني نايمة كمان شوية.

- لا كمان شوية إيه قومي أنا عرفت دكتور هيعملي العملية.

دفنت رأسي مخدة الأريكة وأنا اسألها:

- هياخد كام؟.

قالت بإستهزاء.

- ألف جنيه، كلام فاضي يعني.

قلت بصوت مكتوم من فوق المخدة:

- طالما هو كلام فاضي عوزاني ليه؟!.

- لا ما أنا مش هروح لوحدي أنتي عارفة.

- يووووه، طيب.

ولعلي كنت أتساءل لِمَ استمرت علاقتي بصديقتي إلي الآن؟ ربما لأنها تتكئ علي في كل حركة، فهي لا تذهب لمكان إلا عندما تصطحبني فيه، أي أنني أفضل فيها الاعتماد، وهذا ما كنت أفتقده بالثانوية، الشخصية الضعيفة والخجل من مواقف لا تستحق.

عدت لدائرة لازلت أفكر فيها، علي الرغم من اختلاف الثقافات، والأماكن والخلفيات والتاريخ الشخصي، فقد تجمعنا نحن الفتيات في البارات الليلة نعمل نفس الشيء، كل يوم، مع أشخاص مختلفة.

عندما توجهت بتفكيري إلي التعليم، والدين، ثم من ذلك إلي التربية، ولاحظت أن بسنت أيضاً كانت تملك نفس ظروف صديقتي، فوالدها كانت قاسي ويجبرها علي ارتداء الحجاب، فكانت تتعمد الغياب عنه، وتركه، ومن هنا، إلي نقطة أخري يناقشها الطب النفسي، ففي حالة غياب الوالد عن ابنته، تتأثر نفس الفتاة بقلة الثقة، والاعتمادية، وقد تلجأ إلي البحث عن علاقة عاطفية بشكل شرعي أو غير شرعي لتسد الاحتياج العاطفي ويرجع ذلك للشخصية، ومن هنا أيضاً، أعيد القول بأننا نعاني من خلل بالشخصية يتطلب علاج نفسي في مجتمع لا يتقبل فكرة الذهاب للطبيب النفسي، في حال يقول لك العامة أن عليك بالصلاة، فكيف لي أن أصلي وأنا لا أملك الاستعداد النفسي لمقابلة ربي أثناء الصلاة؟ حقاً، لا يفهم الكثير ذلك الإحساس، لذا نبقي فتيات ليل، نظهر في الليل فقط، ونختفي صباحاً في شخصيات عادية، تقابلها كل يوم وتتعامل معها بحسن نية، لأنكم لا تتقبلون فكرة العلاج نفسها، والأعمق، أننا لا نتقبل أنفسنا كأشخاص سويين، فكيف لنا أن نعيش ونحن نشعر أن العالم بما فيه من قواعد سماوية وفلسفية وعلمية تفرضنا، بل وأحياناً تلعنا. إضافة إلي قذارة تفكير مجتمعنا، والقذارة هنا هي تعفن الفكر، فهناك منهم لا يعلم بوجود طبيب نفسي متخصص في الشئون الجنسية فقط، وكأن الجنس لعنة، ونسوا أنه سبب استمرار البشرية بما فيها إلي الآن، وعند البحث علي الانترنت، فهناك كتب تدعي سيكولوجية الجنس، لكن، عند النظر لمجتمعنا يا كريم، ستجد أن الحديث في هذه الأشياء غير

مصرح به، إلا أن الكثيرين يفكرون به، ويعانون من كبت. كانت لي نظرية في تلك الأمور، عند خلق الإنسان فالله جعل له العقل أعلي الجسم، ليفكر ويعمر، ثم الحواس لتساعده علي التأمل والتدبر في الشئون الحياتية، يليهم القلب، ولا تستهان بالقلب، فهو لا يرمز للرومانسية وفقط، بل للحياة، والعاطفة والإنسانية ثم العلاقات، والشعور بالأمن والاستقرار، والله، جعل أجهزتنا الفسيولوجية المسئولة عن إنتاج أفراد جديدة للحياة بأسفل الجسم، في نهايته، لقلة أهميتها، إلا أن الناس، ترتقي بغريزتها الحيوانية من الأسفل للأعلى، ومع الإدراك والوعي بالحياة يصل الإنسان لمرحلة الاستقرار والتفكّر والإبداع، لكننا ولا زلنا في المرحلة الثالثة، تحت الارتقاء، علمت لِمَ يطلقون علينا دول العالم الثالث؟ ويقول لك العامة مننا، لِمَ تتعلم هذه الأشياء؟ لِمَ قصدت الثقافة الجنسية؟ فينبع هذا السؤال علي اعتقاد أنك شخص سيء الأخلاق ويصدر عليك الحكم بأن الفراغ يهاجمك بأفكار خارجة عن الأدب، بينما يقول لك شخص سيء الأخلاق أنه يتعلمها لأجل العلم ويقتبس دليل قاطع علي أهمية هذه التعاليم أن ولادك ميعرفوش حاجة عن الجنس مستر كادري، وهبط التعليم والتثبت الديني والأخلاقي، فبدا أن الخلل في المجتمع نفسه.

أهداني رجل ذات مرة باقة من الورد، فذبلت ولم يتبقي سوي الشوك منها. لعلي اترك لك ذلك الموقف لتتأمله من وجهة نظرك التي ستكون مبنية حتماً بتأثير من ثقافة مجمعتك وتناسب ذكرياتك النفسية القديم منها والقريب دون أن تشعر، فأنا احكِ لك لئلا تحصل علي إجابات مني عن كيفية ممارسة حياة فتاة الليل ولكني أريدك أن تتساءل عن أجوبتي.

ابتسم كريم وقد ذابت القهوة بين فتحة ثغره، وانتقل من كرسيه ليذهب إلي المطبخ، لم أتبع حركاته وكنت أجلس بظهري مما لم يسمح لي برؤيته خلفي.

أردف متسائلاً:

- متجوزتيش ليه؟.

زممت شفتي بأسف قبل أن أجيب.

- اتجوزت، مرتين.

- فعلاً؟ وكان جواز إيه؟.

-علي سنة الله ورسوله، قدام الناس عادي، بس كل ده بعيد عن أمي، بموافقتي أنا.

- يعني معاكي صور فرح؟.

- لا. . . حرقتهم.

عاد كريم إلي كرسيه بعد أن ترك فنجان قهوة علي رخام المطبخ، ثم نظر لي باهتمام وأومأ رأسه:

- ماشي كملي.

-الأول اللي اتخطبت له فجأة ده، طلع شاذ، كان بيخلص مواعيده معايا بسرعة لأنه، وطبعاً مستعجل عشان يقابل الاشكال اللي يعرفها، حتى يوم الفرح أنا فاكرة كويس أنه فضل يبصلي بالفستان وسألني، أنتي فكراني هلمسك!.

- نفس الجملة اللي قولتيها لنور.

- آه بس مش نفس المعني.

- لا مقصدش، بعدين يعني؟.

-التاني ده اتجوزته وهو مكنش عايز يتجوز أساساً، بعد أسبوع من الدخلة اتطلقنا.

- أسبوع؟.

- آه، والسبب عميق جداً، شاف أن في حباية طلعتلي في وشي.

نظر لي متفاجئاً:

- حباية! يقوم يطلقك؟! أنتي بتتكلمي إزاي؟.

-اسكت ده أنا أتشليت، بعتبرها جوازة متحتسبتش، حتى دي أول مرة احكي السبب الحقيقي ورا الطلاق.

ضحك كريم ضحكة قصيرة، ثم سألني:

- انتي بعدها أكيد كرهتي فكرة الجواز علي بعضها كده؟!.

- أنا كرهاها من قبل ما اتنيل.

خيّم صمت مفاجئ الشقة، ولم يقطعه شيء، بقينا هكذا للحظات قبل أن يسألني كريم:

- أتعرفتي علي نور إزاي؟.

الفصل الثالث

دخلت استحم وقتها، ومن رحمة ربي لم أجد أثار النزيف في الحمام، أسرعت بالخروج وحول رقبتي منشفة تمتص المياه المتساقطة من شعري، خرجت لأري صديقتي تقف أمام الحمام بمسافة قريبة تتأملني من الأسفل للأعلى بعينيها، فنظرت لها بغرابة وسألتها:

- مالك؟.

ردت بعصبية:

- ممكن تخلصي! يومك بسنة.
- طيب استني، بعدين أنتي ضامنة الدكتور ده؟.
- وش لأ يعني، إذا كان مش بآمن لطلبة الامتياز بتوع القصر العيني.
- أمال إيه بقي؟.

أخذت أنشف شعري بالمنشفة وهي تتمتم:

– ده له نظام كده، تدفيعله فلوس عشان يديكي روشتة بأن عندك حالة معينة ولازم تتعملك عملية، طلبة القصر العيني عندنا لما بياخدوا الروشتة بتاعته اللي عليها أمضته بيعملوا العملية علي حسابنا، بس هو ابن ك** بياخد تمن العملية قصاد الأمضة بتاعته.

دخلت غرفتي وأضأت النور خلفي، ثم سرت نحو المرآة وأنا أرفع المنشفة من علي رقبتي.

هززت كتفي وقلت:

- وعلي إيه ده كله، ما نزوّر أمضته.

- لا مانا اللي قالي كده قالي أنه قبل كده حد زور أمضته وكان هيتحط في سين وجيم بس الدكتور عرف حالة المريض، كانت اغتصاب فعداها، لكن إحنا لينا وضع تاني، ومضمنش الدكتور اللي هنقع تحت إيده.

سألتها بنفاذ صبر:

- فين الدكتور ده؟.

- في شبرا.

اتسعت عيني:

- هنضرب كل المشوار ده! آه طب ثانية كده مين هيدفع فينا!؟.

- أنتي يا مزة.

- ده علي أساس أن أمي هي اللي هتعمل العملية؟.

- تحبي أفكرك بالأخضر اللي كنتي بتاخديه من شطني ولا إيه!؟.

الأخضر، تعني به الدولارات التي كنت آخذها منها في وقت مغادرتي إلي الإسكندرية. قرأت في نبرتها كلمات تهديد، إلا أنني لم أبالي، فكلانا مخطأ بحق الآخر وبحق نفسه.

أشحت بوجهي بعيداً عنها، وحدقت للمرآة التي سرعان ما عكست صورتي وأنا أشد خصلات شعري للخلف قبل ربطهما.

نزلنا من البيت وأخذت سيارتها، فيما جلست جانبي، كانت عيني مسمّرة علي الطريق طيلة الوقت، لمحتها فقط توسع المسافة من بين ساقيها من الألم. كان غريباً أن استيقظ علي صوتها وهي تريد مني أن اذهب لتعمل عملية في جسدها، وما كان يوجد تبرير لهذا إلا أنه من شدة الألم أرادت ذلك، فأبتعد كل الأفكار الشكاكة عنها وعدت أتابع القيادة في هدوء.

لكن، لم أستطيع التوقف عن التفكير بهذا الأمر، فسألتها:

- هو أنتي بعد ما تشيلي الرحم هتشتغلي إزاي؟!.

نظرت لي وضحكت.

- نفس الشغلانة يعني هروح فين!.
- ده اللي هو إزاي؟.
- فكك أنتي يا مزة وركزي في الطريق.

***

تابعت لكريم بعصبية:

-طبعاً بنت الك** كانت وخداني ممشياني في شبرا علي أساس أنها هتروح تاخد الروشتة وتعمل العملية في القصر العيني، بس عملت الفصل الو** ده كله عشان تجرجرني لجابر!.

-جابر؟ يعمل بيكي إيه؟ مش خلاص سابك؟.

-سابني إيه، أنت فاكرها سايبة؟!.

-إيه اللي حصل بزبط؟.

-دخلتني في طرق أنا معرفهاش، وأساساً منطقة شبرا كلها أنا معرفهاش، فكنت بسوق زي ما قالتلي، المهم وقفتني قدام مكان كده، ضلمة كحل، وكل

البيوت فيه نايمة تقريباً، سمعت أصوات ناس قاعدين علي سطوح البيوت بس مكنتش عارفة أشوفهم. دخلنا لعمارة مدخلها ضيق أوي والنور جوا أصفر، هي فهمتني أن بيته هنا وكده، فوقفت قدام شقة ورنت الجرس، قام فتح واحد، قالتلي استنيني بره، قامت دخلت هي وأنا استني تبتاع عشر دقايق جوه، شوية كده وبدأت أشم ريحة أنا عرفاها، كانت ريحة فلونيترازيبام أو روهيبنول زي ما هو معروف، ده منوم قوي بيستخدموه لحالات الأرق، بس في ظروف تانية. . . بيستخدموه لحالات الاغتصاب.

تسمرت نظرات كريم نحوي في ذهول عجز عن الرد بعدها، فأضفت:

- عالم زبالة كلهم.

صمت كريم لفترة، وسألني بعدها:

- طيب وأنتي؟.

أجبت في عصبية.

-أنا إيه؟ أنا صوتي راح وقتها، وفضلت في شبرا يجي 3 ساعات علي ما عرفت أروح، وساعتين تانين علي ما رحت الزمالك.

- نزلتي فين في الزمالك؟.

-أول مكان رحت عليه بيت صحبتي، قلت أأقلبها في كام أخضر، رحت لقيت البيت كله مقلوب، دورت في كل ركن علي فلوس ملقتش، أتاري جابر قلبها هي كمان عشان عرف أنها لازم تعمل عملية ومعدش ليها لزمة عنده.

أومأ كريم متفهماً.

- تمام. . . مفكرتيش تروحي لبيت الأصلي، وتشوفي مامتك؟.

هززت رأسي نافية واكتفيت بهذا الرد لأني انزعج من فتح هذا الموضوع.

- أنا مليش مكان غير البارات.
- رحتي البارات.

-رحت، وقابلت هناك نور، شوفته قاعد مع واحدة شكلها حلو أوي، وكان وش جديد علي البارات فمكنتش أعرفها.

- ممكن توصفيلي شكلها؟.
- هي اسمها ياسمين.

هز كريم رأسه وقد تبين أنه يعرفها، فسألته:

- إيه تلزمك؟.
- لا لا، بس نور كان بيحكي عنها كتير مع أخويا.
- أخوك إسلام مش كده؟.
- تعرفي إسلام!؟.
- لا، أنا تقدر تقول، كنت حاضرة كلام نور مع إسلام كله.
- مش فاهم.
- متسبقش الأحداث يا حلو.

***

دخلت تلك الفاتنة من ممر البار ممسكة بيد نور، عبرا من بين مجموعة من الناس، ثم شددها إلي ناصية الطاولات في البار وجلسا علي كرسيين علويين، وأخذت تنظر يميناً ويساراً.

بدت قلقة، فظننت أنها المرة الأولي لها في دخول تلك الأماكن، قد كنت مثلها عند دخولي البار.

تنهد نور، وبدأ بالحديث، فنظرت له ياسمين نظرة غاضبة، وهزت رأسها بالرفض، اشتد بينهما النقاش وبدا أنه سيتعصب لكنه كتم غضبه، وامتنعت عن الشرب عندما قُدّم لها كأس عصير، رفضت أيضاً أن تجيبه، كان يميل نحوها برأسه وينظر لها ببراءة، كان كالطفل أمامها، حدّثها بهدوء فضجرت منه. تنهد مرة آخري وكتم ضيقه فبدأ بإقناعها لكنها بدت عنيده، أكثر من اللازم، وبدا هو يستمتع بكونها صعبة.

استأذنت وحملت حقيبتها في يدها، ثم همت بالرحيل وفي عينيها دمعة اخترقت جفونها بحرقة لتسيل علي خدها.

ذات مرة قال لي أنه سيموت بسبب نزيف من التفكير فيها، تذكرت ذلك وهو يحدثني عنها، كانت كل شيء بالنسبة له، ومهما حاولت في الابتعاد عنه كان يبذل كل ما بوسعه ليراها فقط. . . كان كلام نور عن ياسمين كأنه أدمنها، والإدمان موت.

بالرغم من هذا، ظللت في مكاني أراقبه، ذلك الرجل ثابت في مكانه لم يتحرك ليلحق بها، أو يكلف نفسه برفع هاتفه ليتصل بها، كبرياءه يمعنه من فعل ذلك.

نهضت من الكرسي عندما رأيته يخرج من البار، كانت خطواته هادئة لكنني تعجلت خلفه لئلا يختفي عن أنظاري بين زحمة الناس.

عندما خرجت من البار وجدته يقف بظهره علي طرف الشارع وقد أوقف سيارة أجرة، ومال نحو النافذة ليسأل عن عنوان لكن سائق الأجرة أخاب ظنه وأنعطف بعيداً عنه، وقد بات في مكانه لدقائق، فمشيت إليه إلي أن وقفت جانبه، ألتفت لي في غرابة ونظر لي، لم يقول شيء وتجاهل وجودي.

كان شارداً الذهن، عينيه مسمرة في الفراغ وذهنه منشغلاً بتلك المرأة، زالت من أمامه لكنها راسخة في فكره.

وأفاجئ بغياب شجن المشاعر وأشعر بيد تلمس يدي، وعينين رماديتان تحدقان إلي متسائلة:

- تاخدي كام وتيجي معايا؟.

بالرغم أن وقتها كانت حاجتي للمال شديدة عن أي وقت سبق، إلا أنني استسلمت له وقتها كطفلة تائهة، مغمغمة العينين، يأخذها ذلك الرجل معه في الطريق.

جلست جانبه علي الأريكة الخلفية لسيارة الأجرة، وراح ذهني عن دون وعي يعيد ذكرياته المحطمة في سبيل إهدار ما أبقيه من طاقة أكمل بها بقية اليوم.

تلك الطبيبة المتخصصة بالعلاج النفسي بشؤون الجنس، كانت تحدثني في غرفة ذات طابع خاص من الهدوء، امتلأت بكرسي كبير مريح ومكتب خلفه كرسي أسود من الجلد، وكان يوجد شباك كبير تتسلل منه أشعة الشمس مخترقة حاجز الستائر الرقيقة التي لم أعجز عن رؤية بحر إسكندرية من خلالها.

سألتني من موضعها علي كرسي يجاورني بمسافة قريبة:

- طب أنتي عارفة أن الناس كلهم سطحيين؟.

ما كان علي سوي أن أتقبل تلك الحقيقة، فأومأت رأسي في أسف:

- عارفة.

- طيب وعارفة أنهم أول ما يشوفوا حد بيحكموا عليه وبيحطوه من ضمن فئة معينة؟.

تابعت هز رأسي وأنا أحدق للأرض في إحباط:

- عارفة للأسف، وعارفة أن فيه جزء في المخ مسؤول عن كده.
- طيب إيه المشكلة؟.

ضغطت علي فكّي السفلي في غضب، وما كان علي أن أذكر ذلك اليوم، لأني خرجت من عند الطبيبة أشعر بالغضب والسخافة في أني أشاركها أفكاري، وبدون جدوى، لم أجد حلولاً، والابتعاد عن طريق الليل كان صعباً لأني وضعت فيه بإراداتي.

نظرت من النافذة لأري عمارات طويلة تتابع وتمر بسرعة، ونظرت للأمام لأري شارع طويل ممتد علي أرصفته ملصقات إعلانية سبق وأن مررت بها، فظننت أننا أوشكنا علي الوصول.

وقع الغطاء من علي حجري فانكشفت ساقي، ساقين طويلتين لم يري بجمالهما قط.

كنت أتساءل كيف لرجل مثله أن يغرم بامرأة علي علاقة بها ويسمح لنفسه بأن يمارس علاقة أخري. وقعت بين ذراعيه عند دخولي منزله، شعرت كأني احتجزت في قفص، ولم أستطيع الإفلات منه فقد احتواني بشدة، وفتح لي جسده كأي مرة لم يسبق وأن فعل.

اشتد ذلك اللحام بيننا كأننا نتعارك، وفي النهاية أعللنا الاستسلام ليأخذ كل منا جانب في السرير، واستمرت دورات العقارب ليلاً إلي أن توقف عند التاسعة مساءاً، ففتحت عيني بأتساع وأخذت أنظر حولي لأري سقف بيت لم أراه من قبل، ومكان جديد علي أنظاري، وغطاء لا يستر أطراف جسمي، فملابسي ملقاة علي الأرض ولم تجمع بعد.

طويل القامة رمادي العينين غادر منزله مبكراً دون أن أشعر بانسحابه من جانبي، بالرغم من هذا كنت أتسلل في بقية الشقة باحثة عنه، وفتحت كل الأبواب لأتفقد ما خلفها فلم أراه، وبعد أن انتهيت انصرفت عنه من بالي وتوجهت للمطبخ لأفتح الثلاجة وآخذ ما بها، فبلعت ما يساوي كيلو من الطعام، وبعد أن انتهيت بسرعة شعرت بالرضا عما أكلته لأنه ليس من مالي، ويؤسف أني أفعل ذلك مع طعام غيري دائماً.

كان من الغريب التوقع أنه ذهب لياسمين، وفي مقر عملها وسط كاميرات التصوير والخلفيات التي أشتد بيضاها بمساعدة الإضاءة، لفت انتباهها وجوده، اتسعت عينيها وكانت مشتتة، وعجزت عن متابعة جلسة التصوير، استأذنت من المصور واعتزلت في غرفتها التي سرعان ما لحق بها واقتحمها.

شهقت من الفزعة.

أوصد الباب خلفه ولم يزيل أنظاره من عليها.

قالت في فزع:

- نور!.
- ياسمين خلينا نتكلم.
- إحنا سبق واتكلمنا.
- ياسمين أنا والله ما. . .

قاطعته:

- نور أنت كذاب، أي حاجة هتقولها هتبقي كذب، أنت قولتلي أنك مسافر ومسافرتش، قولتلي أنك رايح تشتغل وهترجع تستقل بعيد عن أهلك ومروحتش، فهمتني حاجة، والحقيقة أنك اتمسكت في قضية سرقة واتحسبت.

ضاق نفسها فجأة وأخذ صدرها يتصاعد ويهبط محاولة أن تستنجد بالهواء الموجود في الغرفة، كانت علي وشك أن تبكي لكنها حبست دموعها بقوة.

تابعت بنبرة ملؤها الحزن:

– غبت عني كتير، ومبقتش تكلمني، وانت عارف كويس، عارف أن عندي مشاكل مع أهلي بلبنان ومش هعرف أرجع لبلدي.

همس بلطف:

– ياسمين، اسمعيني.

قاطعته برفض:

– نور اسمعني أنت.

– روح نور.

تلعثمت في الكلام للحظة، وقالت:

– خلصنا كده.

كان معجب بالفكرة نفسها، أكثر من العلاقة الإنسانية وما يرمز له من حب وعاطفة راقية، فأبتعد عنها، ولكن لحظياً.

وصلتني رسالة منك، وبها نص فاجئني مفاجأة غير سارة، فكنت أقرأها وأنا أضع حذري لئلا أقع بأي فخ، وحينها كنت أشك بأنك جابر أو شخصاً أعرفه لكن فيما بعد أطمئنت.

قرأت الرسالة: «أنا عايز أقابلك وهديكي اللي تطلبيه».

لم أكن أعلم أنه أنت يا كريم، جعلتني أفقد صوابي كاملاً، ورحت أرتدي ملابسي كاملةً بمنزل نور، لا تتعصب لأني كنت أبيت عند أخيك دون أن تعلم، فعلي الأرجح هو لا يخبر أحداً بحياته الخاصة. جهزت للنزول، فغادرت تاركة

حقيبتي بمنزله كعلامة لإقامة موعد آخر معه، وذهبت بسيارة أجرة حيث التقيت بك في كافيه بالمهندسين، أخذت وقت لأبحث عنك وسط الزحمة، تعالي الهمس بالكافية، وكنت جالساً بمفردك علي طاولة فارغة من المشروبات، تطرق بالنظر من خلال النافذة، فوقفت قربك ونظرت إليك أتفحصك، لأري وجهاً متوسط الجمال وشديد البياض، لا تملؤه التجاعيد، لعلي أعرفك لكنني اطمأننت عندما رأيتك غريباً، فأخذت أجلس أمامك.

رفعت حاجب:

- إحنا أتقابلنا قبل كده؟.

ابتسمت إلي وقلت بلطف:

- مفتكرش.

- وصلتلي منين؟!.

بدأت أطرح عليك الأسئلة التقليدية عندما أقابل وجه جديد.

- من سيديهاتك.

تعجبت أنك حصلت لي علي بعض من الأسطوانات القديمة التي كنت أسجل عليها صور ومقاطع لي، وفهمت أن هذه المقابلة ليست تقليدية لأنك إن حصلت علي شيء قديم لي فأنت بالكاد تبحث عني لسبب، فسألتك:

- سيديهات؟!.

- أيوة.

- أنت ظابط؟.

- لأ.

- أمال؟.

ابتسمت في برود، ونظرت لي بعمق كأنك تحاول كشف ما بداخلي، لكنك لم تستطيع.

أردفت بنبرة هادئة:

- أنا اسمي كريم. . . صحفي.

ثم تابعت بتردد:

- شوفت سيديهاتك، وأنتي عارفة طبعاً محتواها إيه، و. . . كنت عايز أعمل معاكي حوار صحفي.

نزلت كلمتي صحفي وحوار كالصاعقة، شدت أطرافي من الارتباك، وأردت الهروب من أمامك بأي طريقة، لكن المكان عام وشعرت أنني سأفضح نفسي أكثر من اللازم، بقيت متسمرة في مكاني أحدق إليك وأنتظر المزيد من كلامك لتقضي علي، فكان كل ما يدور برأسي أنك ستبلغ عني، لأنني ظننت أنني أخفيت تلك الأسطوانات وحُرقت كل نسخها.

تمتمت بتردد:

- أنت عايز مني إيه؟.

- أنا زي ما قولتلك. . . هسجلك كلمتين، ومش هنتقابل تاني.

بلعت ريقي بصعوبة.

أزحت يدك من فوق الطاولة وسحبت كارت من جيب سروالك وباليد الأخري أخذت قلماً من معطفك، وكتبت بخط واضح علي ظهر الكارت، ثم أعطته لي، فبدون جدال أخذته منك وقرأت ما كتبته.

أردفت إلي:

- ده عنوان شغلي، تعاليلي فيه بكرة.

نظرت لك في تحدي:

- ولو مجتش؟.

ابتسمت لي بسخرية، ابتسامة جعلتني أطرح الكثير من التساؤلات برأسي، وفجأة نهضت من كرسيك وأعلنت انتهاء المناقشة:

- افتكري أني لو دورت عليكي هعرف أجيبك.

تلقيت هذا التهديد منك وبقيت في مكاني للحظات، كنت أنت غادرت الكافية لتلحق عملك، وكنت أنا أفكر كيف سأتصرف، لازلت أشك بأنك من الشرطة وستكون نهايتي علي يدك، دارت برأسي أفكاراً كثيرة كان من الصعب إخماد صوتها بداخلي، وانتهيت بذلك إلي أن انتظر للغد واذهب إلي حيث تريد لقائي.

وقتها كان نور يغادر أستوديو عارضة الأزياء ياسمين وعلي ظهره معلق خيبة الأمل، أراد البقاء لكنها تعمدت أن تنهي معه أي مناقشة، عندما خرجت من غرفتها وبدا جسمها يلتوي أمام المرآة، أغدقت عينيها وقد ملأتها الدموع، فرآها المصور وراقبها بقية الرجال في الكواليس، وكان من بينهم رجل في أوائل الأربعينات يحدق إليها، ابتسم، فنظر إليه المصور وقال:

- مش من سنّك.

ألتفت إليه الرجل ورد:

- بس تنفع.

- حاسب لأنها مبقتش تطيق الرجالة.

يقولون القلب وما يريد، وهذا الرجل لم يتوقف عن مراقبة حركتها طيلة جلسات التصوير، كان ينتظرها بين الحين والآخر فيما كانت تدخل غرفتها لتبدل

ملابسها وترتدي ملابس لمصمم أزياء عربي مشهور، ففي خلال أيام تعرض صورها علي مجلات الأزياء والموضة، ويفتن بها الرجال وتعجب النساء بأزيائها وتناسق جسمها، فتكسب جمهور لا حصر له حتى طلبها المنتجين للعمل في المجال السينمائي.

ابتسم الرجل وسألها عند انتهاء جلسة التصوير:

- تسمحي لي أوصلك؟.

رفعت ياسمين حاجبيها وابتسمت في خجل:

- لا شكراً، في سواق هيجي ياخدني.

صمم الرجل وأردف بصوت عميق:

- خليني أقعد معاكي، ونتكلم في الشغل، جايبلك عرض حلو.

وبسرعة أجابت:

- ماشي، عن إذنك بس هغير.

- خدي وقتك.

دخلت ياسمين غرفتها واستقرت دقائق أمام المرآة بعد أن خلعت الزى من عليها، تأملت نفسها في المرآة قليلاً ومسحت بيدها أثار الدموع التي تراكمت تحت جفنيها. بعدئذ، بدلت الملابس وخرجت سريعاً من غرفتها لتجد الرجل الأربعيني يقف أمام الباب بابتسامة لطيفة علي وجه ويحسن استقبالها.

مد لها يده وقال:

- تعالي. .

ترددت ياسمين وراحت تمشي بجانبه دون أن تجعله يمسك يدها، فلم يمانع، وظل محافظاً علي ابتسامته إلي أن خرج من باب الأستوديو. هبت نسمة من الهواء البارد جعلت أسنانها تصطك، فألتفت نحوها وخلع لها معطفه ليضعه علي ظهرها.

نظرت له بغرابة في البداية، وما كانت لتري سوي الدفء يملئ عينيه.

شعرت بالسعادة وشكرته. بعدئذ سحبها معه إلي سيارته وأنطلق معها بعيداً، ولم يلاحظا أن نور كان يقف بعيداً يترقب خطواتهم، ظل يقف ساعات في البرد إلي أن جاء الليل وظلل عليه، فلم يعد كامل الوضوح من بين الأشجار المصطفة علي الرصيف.

كنت أنا في طريقي لشارع الهرم، دخلت كباريه الهرم بدون أن يعترضني أحداً من الحراس فهم يعرفون وجهي. بحثت عن صديقتي في كل طاولة من الطابق الثاني، ظللت أنظر طويلاً من خلال نافذة عريضة فلم أجدها، كنت حينها في غرفة الإدارة، بخلفي مكتب المدير كان يجلس عليه وينظر لي وهو يدس في فمه سيجار بني فخم.

سألني في فضول:

- إيه اللي جابك؟ مش كنتي غايبة شهرين؟.

أجبته دون أن ألتفت خلفي:

- أنا متراقبة.

أخرج السيجار من بين شفتيه وضاقت عينيه مما سمع، لكنني تابعت:

-السيديهات اللي أنا كنت مصوراها لنفسي وقعت في إيد صحفي، مش بعيد من بكرة ألاقي نفسي في السجن.

- أنتي عايزة إيه دلوقتي؟.

ألتفتت نحوه بعد أن انتهيت من البحث عن صديقتي.

- عايزة أعرف بوسي فين.
- هي تصيع وتيجي تسأليني عنها؟.
- أنت بتهرج؟.

رد بغضب:

-أنا غلطان من الأول أني دخلتك من باب الكباريه، أطلعي بره ولو شوفتك تاني هعمل فيكي أكتر من اللي عمله معاكي جابر.

***

أخذت نفس عميق وزفته في ضيق، ثم نظرت إلي كريم وهو يسألني:

- أنتي كنتي عايزة تروحلها ليه؟.

تنهدت، ثم قلت:

- كنت عايزة بيت أقعد فيه.
- مفكرتيش في مامتك برده؟.

هززت رأسي نافية وأنا أؤكد:

- اللي أنت بتتكلم فيه ده مستحيل.
- طيب، اتصرفتي إزاي لما روحتيلها؟.
- لأ، مانا ملقتهاش، وعديت علي شقة الزمالك مكانتش موجودة.
- كان ممكن تباتي في الشقة طالما الكالون متغيرش.

أومأت برأسي وقلت:

- كان ممكن.
- طيب إيه اللي حصل؟.

نظرت له بعينين واسعتين يحاولون الهروب منه.

– اللي حصل أني رحت لنور. . . قضينا وقت مش هنساه، وبعدها بشوية قلبها كآبة وهو بيحكيلي عن ياسمين.

هز كريم كتفه وقال:

– نور بيحكي لتراب الأرض عن ياسمين، مش معناها حاجة يعني أنه حكالك.

أومأت رأسي وابتسمت ابتسامة مصطنعة:

– عارفة.

– طيب، وبعدها، اتقابلنا في مكتبي.

أومأت رأسي مجدداً وقد زالت الابتسامة تدريجياً:

– أيوة، رحت مكتبك، وقعدت معاك نفس القاعدة دي، فتحت الموبايل وبدأت تسجل وأول حاجة طلبتها مني أني أقر بأني هحكيلك قصتي.

أومأ.

– حصل.

– بس أنا محكتلكش قصتي.

– لاحظت ده.

– كانت قصة لبنت، البنت دي أول واحدة أقابلها في شارع الهرم وأتعرف عليها، شكلها صغير وجميل، حبت واحد وهي في الصعيد، والولد ضحك عليها وقلبها، وباتت معاه، بعدها طلب منها أنها تسافر معاه للقاهرة، وعشان عار العيلة، هربت معاه، وعرفت أنه بيشتغل في عالم الليل.

– وبعدين؟.

زممت شفتي وأنا أرد:

- أبداً. . . معرفتش ترجع لأهلها، فكملت في الطريق.

الفصل الرابع

قال بصوت رجولي خشن:

- أنتي إزاي مستحملة نفسك كده؟.

كنت مغرقة في دموعي وأختطف أنفاسي بمنتهي الصعوبة، فلم أتحمل سماع المزيد من كلمات تأنيب الضمير، وأردفت أقاطعه لئلا يتابع:

- كفاية يا إسلام، حرام عليك.

انفجرت في البكاء. نهضت من الكرسي وأنا أقول بنبرة مكتومة:

- أرجوك كفاية، أنا همشي.

شدّني من ذراعي بسرعة.

- استني يا سارة!.

***

ضمّ الصحفي كريم حاجبيه متسائلاً:

- حبيتي كام مرة؟.

دقت الساعة منتصف الليل، ولا يزال كريم متواجد بمنزلي، وانتقلنا من طاولة الطعام إلي الصالون، قدّمت أمامه كوباً ساخناً من القهوة فتركه طويلاً أمامه، ووضع جانبه علي الطاولة هاتفه الخلوي إذ يستمر في التسجيل.

ترقبت ملامحه وهو يعطيني كل اهتمامه، فأجبته:

- مرتين.

- أول مرة؟.

اعتدلت في جلستي وأجبت:

-أول مرة كان الحب ده غريب، من غيرة وإهتمام وعتاب وحزن، كنت مجنونة بيه.

-وتاني مرة؟.

رددت بدهشة:

- تاني مرة كان من طرف واحد.

- أكيد تعبتي فيه.

هززت رأسي.

- بالعكس، الأولاني هو اللي كان تابعني، رغم أنه كان قريب مني، وعلي طول وشي في وشه لكن كان صعب عليا حتى أني ألمسه، أنما التاني العكس، وشي في وشه وبنتكلم ليل ونهار ويتصل بيا، لكن مكالمتنا كانت رسمية جداً، الأتنين اللي حبتهم كانوا مختلفين عن بعض. . . في كل حاجة تقريباً، بس متشابهين في حاجة واحدة. . . الحاجة دي هي اللي أنا كنت مفتقداها أوي.

- اللي هي؟.

رفعت حاجبي ورددت:

- المبدأ. . !.

***

عندما غادرت مكتب الصحفي كريم، وكنت قد ذهبت إليه وأخبرته بقصة غير قصتي الحقيقية لئلا يرمي بى في السجن، رحلت صباحاً من مكتبه ومررت علي شقة الزمالك مجدداً، فوقفت أمام باب الشقة علي أمل أن تكون صديقتي بداخلها، لكني رننت الجرس ولم يجيب أحد من الداخل، وسرعان ما ظننت أن الشقة فارغة فكنت سأغادر وقتها، لكن، سمعت صوت استغاثة من الداخل، صوت عالي يصحبه ألم عميق، لم أفهم ما قيل من ذاك الصوت لكن تبعته آهات قوية استطاعت أن تخترق حاجز الحائط وتسمع بوضوح.

عبثت سريعاً في حقيبتي فأخرجت منها المفتاح وفتحت به باب الشقة علي عجلة، ما إن فتح معي دلفت للداخل بخطوات سريعة ونسيت المفتاح بباب الشقة، أخذت أبحث عن مصدر الصراخ، فلحظات وكنت قد توجهت بخطواتي نحو الحمام، ووجدت صديقتي خارجه ملقاة علي الأرض وغارقة في دموعها، اتسعت من تحتها بقعة دماء كبيرة، ففزعت من هول المنظر واندفعت نحوها. وضعت يدي تحت فخذيها واليد الأخرى خلف ظهرها، حاولت قدر طاقتي أن أرفعها، فكانت ثقيلة للغاية، وبدت ركبتي ضعيفتين للغاية لكي تحملاني، حاولت مجدداً رفعها وحملتها للصالة فأجلستها علي أريكتها المفضلة.

كانت عينيها محمرتان وشعرها مبعثر للغاية، لم تستطيع التكلم، وتابعت في إصدار صراخ عالي.

عادتاً لا أستطيع التصرف في تلك المواقف، وأزداد توتراً، فيصب كل تفكيري وجهدي علي محاولة مساعدة الحالة.

تعاطفت معها، ورأيت قطرات دماء تتساقط من ملابسها فتطبع علي الأرض.

تنهدت وسألتها بصوت عالي ليغطي علي صراخها:

- إيه اللي حصلك؟.

هزت رأسها وقالت:

- معرفش. . معرفش.

وضعت يدي علي خصري وبدأت أضرب الأرض برجلي.

***

نظرت له بعينين واسعة ملؤها الغضب وصحت في وجه:

- سيبني يا إسلام!!.

همس بعد أن شعر بضعف موقفه:

- سارة. . . أهدي، أنا عايز أساعدك.

نظرت له بغرابة، إنه يسخر مني.

هززت رأسي وأشحت أنظاري عنه، ثم تمتمت:

- أنت لو قاصد تدمرني مش هتعمل كده.

صحح لي مطمئناً:

- صدقيني عايز أساعدك، بس توعديني.

لففت برأسي نحوه في اهتمام:

- بإيه؟.

***

منذ اللحظة التي حاولت فيها أن أنقلها علي الأريكة وأن لم أفهم منها ما حدث، فلم تجيبني بإجابة مفيدة، لذا أسرعت بالاتصال بالإسعاف ونقلوها إلي مستشفي، ولحسن الحظ أنها مستشفي حكومية.

ساد الهدوء ممر المستشفي، وكلٍ من المرضي منشغل بنفسه، ينتظر أن يسمع اسمه فيكشف، وكنت أنا انتظرها خارج باب غرفة الطبيب، أدعي لله بألا ينكشف أمرها فأفضح معها أو أضع تحت أي شبهات.

كان بإمكاني أن أرحل، لكنني بقيت إلي أن وجدت باب الغرفة يُفتح، فنظرت للباب ودفعته للداخل برفق، ورأيت صديقتي جالسة علي السرير الأبيض، والطبيب يكتب شيئاً علي ورق الروشتة.

أغلقت الباب خلفي وأطرقت سمعي لما قاله الطبيب:

-ده طلب برسم أشعة، لازم يتعمل ويجيلي في أقرب وقت عشان نحدد هي عندها إيه.

لم أجلس، بقيت واقفة أمام مكتب الطبيب وأسندت يدي عليه وأنا أسأله:

- احتمال يكون عندها إيه يا دكتور؟.

كاد صوتي مملوء بالخوف.

ترقبت صديقتي وهي تحاول النزول من علي السرير، فرايتها تواجه صعوبة لأنها غير قادرة علي فتح أو غلق ساقيها والحركة بهم بصورة طبيعية، فرحت إليها وسندتها علي كتفي فيما رد علي الطبيب وهو ينهي كتابه آخر سطور الروشتة:

-الرحم فيه شروخ كتيرة، وأقل شرخ فيهم طوله عشرة سنتي، وفيه حيوان منوي، تقريباً اتنقلها فيروس من حد، يعني الموضوع متطولوش فيه وباسرع وقت يكون في أشعة.

سألته:

- HIV؟.

-لا، مش الإيدز، إحتمال يكون فيروس تاني، لازم نعمل كشف الأول.

نظرنا أنا وصديقتي لبعض في دهشة.

تابع الطبيب:

- تحولي بعد بكرة نعملها عملية نزع رحم، ويكون معاكم الأشعة.

ابتلعنا كلام الطبيب بصعوبة، وتناولت منه ورقة الروشتة بالأشعة والتحاليل المطلوبة، ثم غادرت مع صديقتي، أخذنا وقت طويل لنخرج من المستشفي، فكانت تمشي ببطء، ولكني ساعدتها حتى أجلستها داخل سيارتها، وأغلقت الباب، ثم رحت أجلس من الناحية الأخرى.

سندت رأسها علي نافذة السيارة في تعب، فنظرت إليها وأنا أفكر بالأضرار التي لحقت نفسها بها، هي من أرادت هذا الطريق، وأخبرتها من قبل أنها لا يجب أن تمارس العلاقة أكثر من مرة باليوم لما يؤدي بها من صحتها، لكنها كانت تجاهلت الطب، ورمت كل شيء خلفها. لا تستطيع أن تنكر الإيذاء الذي لحقته بنفسها، ولا يوجد لها مغيث سوي خالقها، فلأتركها في عذابها.

كانت ترتجف بشكل ظاهري، وجسدها أكثر إرهاقاً، ووجها يعكس شحوب خلفته مساحيق التجميل وآثار الإجهاد.

حاولت تجاهلها والالتفات إلي الطريق، لكنني لم أستطيع، أبقيت بجانبها إلي حين وصولنا إلي شقة الزمالك التي بعثرها جابر وفجر فيها الفوضى التي لا تزال تنادي من يرتبها.

سندت علي كتفي وجاهدت حين وصلت إلي غرفتها، فجلست علي طرف السرير، وجلست جانبها مطرقة النظر إلي الأرض.

مرت لحظات حتى اكتشفت أنها بغرفتها، فهمست:

- سارة. . .

هذه أول مرة تلفظ أسمي فيها منذ أن دخلنا إلي عالم الليل.

يقال أن سارة يعني السرور، والأميرة، والسيدة النبيلة، لكن، أسموني سارة، فعندما يروني تُسر القلوب.

تهجم وجهي خوفاً مما ستقوله لي، وبدا أن هناك أمراً مهماً.

- في إيه؟.
- أنا ممعيش فلوس أعمل بيها العملية. . . جابر خد مني كل حاجة.
- تستاهلي، تستاهلي كل اللي بيجرالك أساساً.

قلتها بغيظ.

نظرت لي متعجبة مما أقوله، كانت متعبة ولا تتحمل أي حديث يؤذيها، فقلت:

- أنا متراقبة، مش هعرف أساعدك.

ضربت بيدها علي صدرها:

- متراقبة!!.

رددت بأسف:

- أيوة.
- يخربيتك!! أنتي تتراقبي؟ ده أنتي آخر واحدة ممكن تتمسك.

***

أرجعت خصلات شعري للخلف بعصبية وهززت رأسي بشدة:

- أنا معرفش إيه اللي خلاني أقولها كده.

ضم كريم حاجبيه وأخذ ينظر لي طويلاً قبل أن يعلّق:

– مع أني لما أخدت منك الvoice notes بقصتك، أو قصة صحبتك يعني، أديتلك السيديهات وقلتلك خلاص مش هتعرضلك.

– أيوة.

تنهدت وأضفت له:

– ما ده كان بعد ما اترفع عليك قضية.

– قضية؟.

– قضية أنك متستر علي بنت ليل، والشرطة طلبت منك تعرف طريقي.

أومأ رأسه وقال:

– آه، افتكرت!.

نظرت في عينيه بعمق، بدا يغيب عن حديثي. ابتسمت ونهضت من الأريكة فرفع رأسه يحدق لي:

– رايحة فين؟.

– هجيبلك ميا ساقعة عشان تفوق معايا، شكلك تعبت.

– هي الساعة كام؟.

أجبته وأنا ألتف لأمشي إلي المطبخ:

– داخلة علي واحدة.

– ياه، ده أنا اتأخرت.

نهض من مكانه فجأة وقال:

– طيب أنا همشي ونبقي نكمل بعدين.

استدرت نحوه ونظرت له في غرابة. رغبته في الرحيل أقلقتني، فلا يترك الصحفي الموضوع إلا عندما ينتهي منه تماماً لأنه لا يضمن مقابلتي مجدداً.

وتساءلت إذا كان يشعر أنني كنت أكذب طيلة حديثي معه؟ فإن كان كذلك، لما كان بقي هادئاً عندما عرف أنني أقمت ليلة مع أخيه.

خرجت مسرعة من المطبخ عندما رأيته يقرب إلي باب الشقة، لحقته وقد أمسكت به من ذراعه فشددته:

- إيه رايح فين؟ لسة السهرة يا حِلو.

تعجب من طريقة مسكتي له فدفعني لأبتعد عنه.

- سهرة؟.

- آه أكيد، هتمشي كده من غير ما تعرف الجزء المهم؟.

- ما هنبقي نتقابل تاني.

ابتسمت.

- تاني فين؟ أنت لو خرجت من هنا مش هتعرفلي طريق تاني.

زمّ شفتيه وبدا لي أنه يفكر بالجلوس، فرجعت أتوجه للمطبخ.

- أقعد أقعد.

لم يكن أمامه شيء سوي أن يستسلم لي ويشرع بالجلوس، فأخذ يجلس في موضعه كما كان وذهنه شارداً، لعله لا يدرك أنني أقف في المطبخ. بدت عينيه تنعسان بشدة، فتذكرت أنه ذاهب لمقر عمله غداً ليقابل مديره، لكنني لا أبالي بذلك، أريد أخباره قصة حياتي كاملةً، وسأمنعه عن المغادرة إن حاول.

سكبت له كوب ماء مثلج في كأس، ثم عدت أفتح الثلاجة وبحثت عن علبة دواء استعملها دائماً، فوجدت الكثير منها بباب الثلاجة، تعمدت أن آخذ قرصين من الشريط، وكانوا كبسولات، ففتحتها فوق كأس المياه وتساقطت منهم بودرة بيضاء ذابت في المياه.

ألقيت بهم جانباً، وأمسكت بالكأس وهززته هزة بسيطة لئلا يتفاعل بشدة مع المياه فتتصاعد فقاعات تفضح ما بالكأس من مادة كيميائية.

أخذت الكأس معي وأنا أتوجه نحوه، وقد ارتسمت علي شفتي ابتسامة لطيفة، ما إن جلست وضعت كوب المياه علي الطاولة جانبنا وتركته، كنت قد تعمدت ذلك ليكمل التفاعل، ولا أمانع إن شربه الآن، لكنني شعرت به يتوجس مني خيفة، والسؤال الذي يراود ذهنه، لِمَ تريد فتاة ليل إخباره قصتها مقابل مئات الجنيهات التي تستطيع كسبها في الساعة؟.

حاولت الحفاظ علي ما أقوله له، ولم أكن أخبره كل التفاصيل الغير مهمة بالنسبة لي، فتابع مع وكله إنصات، كان يهز رأسه ويدخل في منتصف الحديث، ويعلق بموافقة علي ما أقوله، وإن كان خارج حدود الأدب، لكنه لم يمانع بسماع كل شيء، أخذ يتكلم هو الآخر ويقاطعني، فرددت عليه ردود قصيرة، لم يمانع، فظل يتابع معي، وفي المنتصف لفت نظري أنه شعر بحاجة للمياه فأمسك بكأس المياه وشرب نصفه، فاطمأننت أنه لم يلتفت لأن النكهة تغيرت، ربما ظن أنه بسبب اختلاف الصرف.

***

عضضت علي شفتي.

حاولت كتم مشاعري لكنني لم أستطع فعل ذلك كثيراً.

كان ينظر لي بغرابة، ويريد مني جواب في الحال، لكنني سأهرب منه بطريقة أو بآخري، فعاد يكرر سؤاله:

- سارة مالك؟.

أشتد خفقان قلبي بشكل جنوني، شعرت أن قلبي سينفجر وقتها، وترددت كثيراً في إخباره ذلك. هذه المرة الأولي التي أشعر فيها بارتباك وأنا أفصح عن مشاعري ورغبتي تجاه أحدهم، فكثيراً ما أخاطر بفعل ذلك، لكن أكتشف أنه ما من سوء.

تنهدت قبلها.

- تتجوزني؟.

***

لا تفكر سوي بمصلحتها، لا أعلم كيف دخلت طب وتريد أن تصبح طبيبة! الطبيب يفكر في المرضي قبل نفسه، الأطباء يحملون مشاعر التعاطف أكثر من غيرهم، حتى أنهم من أكثر الناس المعرضة للانتحار من شدة تعاطفهم مع الحالات، لكن، هي قد تنتحر بسبب حبيب، أو بعض الدولارات.

هززت رأسي وقلت لها:

- أهو اللي حصل.

- أنتي اتمسكتي إزاي!؟.

زفرت نفسي وقلت:

-متمسكتش يا بنتي، ده صحفي، هددني بالسيديهات بتاعتي، ورحت لمدير الكباريه، الكلب طردني.

-ما طبعاً هيطردك، يعني هياخدك علي حجره أنتي كمان! المهم بس، جابر رمانا وأنا مش هينفع انزل اشتغل.

-طيب أعمل إيه برده؟ مانا مش هينفع انزل زيي زيك.

-لأ ينفع.

حدقت إليها للحظة، فقالت:

-روحي للصحفي ده، وخليه يشيل المراقبة من عليكي، يكلم الشرطة، يشهد عليكي بأي حاجة، اتصرفي.

رددت عليها في عصبية:

- اتصرف إزاي يعني؟ أنتي مجنونة يا بنتي! بقولك متراقبة.

-إيه يعني متراقبة؟ مانتي متراقبة دلوقتي، محدش هيقدر يعملك حاجة، إلا يوم ما تبقي مع زبون هتتمسكي.

كان كلامها مقنع بالنسبة لي لأني لم أخبرها أن الصحفي يهددني، وتقبلت ذلك، فرحت بعدها بيوم لمقر عملك، كنت أرتدي سروال أسود ومعطف أزرق غامق، كلها ألوان تناسب فصل الشتاء.

صعدت للطابق الثاني وذهبت إلي مكتبك لأبحث عنك فلم أجدك، رحت لأسأل موظفة تعمل بالشركة لأن الموظفين الرجال بغرفتك لم يكفوا عن النظرات المغازلة لي.

- الصحفي اللي اسمه كريم، هو مش موجود في مكتبه، ألاقيه فين؟.
- حضرتك عيزاه في حاجة مهمة؟.
- آه جداً.
- طيب ممكن تجيله بكرة لأنه النهاردة عنده عزا، والدته توفت.

عندما سمعت خبر وفاة والدتك، كل ما خطر ببالي والدتي، إذا أقاموا لها عزاء، هل كنت سأحضر لها أم لا.

- طيب فين العزا ده؟.

– بعيد عن هنا، ممكن أديكي العنوان، أو تستني نص ساعة هخلص حاجة في إيدي وأخدك في طريقي لأني رايحاله.

انتظرت بالفعل، وما كان علي فعل سوي ذلك، رغم أنني لا أعلم ماذا سأفعل إن قابلتك.

عندما رأيت ملابسي مناسبة فلم أمانع بأني تصطحبني تلك السيدة معها. ركبنا السيارة سوياً وأخذت أطرح عليها بعض الأسئلة قد ربما تفيديني إجابتها، فسألتها:

– هو كريم بقاله فترة شغال في الجريدة دي؟.

– آه يعني. سنتين.

– أها، طب وشغله وكده في وسط الصحفيين تقييمه إيه؟.

هزت كتفيها وأجابتني بصراحة:

– يعتبر كويس، أنا سمعت أنه بيحضر في كتابة مقال عن فتيات الليل من قصص حقيقة.

أومأت وأنا أقاطعها:

– أه، أه، دي حاجة كويسة.

– آه بزبط، فهو كان بيلف الفترة دي في الأقسام وبيحاول يزبط الدنيا كده مع الضباط عشان يفتح ملفات قضايا، بس يعني.

– ولو مكتبش عن الموضوع ده هيجري حاجة؟.

– لا مش الفكرة، لكن هو لو المقال اتنشر هيبقي عليه ضجة ولفت نظر كتير، وبكده هو كصحفي مش كسبان حاجة غير أنه يترقي.

ثم أشاحت بنظرها نحو النافذة وتابعت:

- بس سمعت أنه بلغ عن البنت اللي جاتله من كام يوم.

اتسعت حدقة عيني:

- أنهي بنت؟!.

- بنت كده، معرفهاش، بس حكيتله قصتها يعني ومشيت.

كانت تقصدني بالتأكيد.

- بلغ عنها!؟.

أومأت وقالت:

-أيوة، والشرطة بتدور عليها دلوقتي، علي حسب المواصفات اللي وصفهالهم. . . لكن صحيح، هو حضرتك عايزة كريم في إيه؟.

-ها؟ . . أنا؟ أبداً، أنا كنت جاية أديله معلومات عن البنت اللي بيدور عليها.

-فعلاً؟ ده كويس، لأنه مش راضي يشيل الموضوع من دماغه، عايز يسخّن المقال.

-هيبقي والعة بإذن الله.

***

ابتسمت فيما قال كريم بسخرية:

- يعني أنتي كنتي عارفة أني مبلّغ عنك.

أومأت رأسي:

- كنت عارفة أنك زبالة، زيك زي أي حد عرفته.

- أيوة بس. . . ده من حقي إني أبلغ عنك.

خفضت بصري ونظرت له بحدة:

- حق مين؟!.

-حقي عادي إني أبلغ عنك، مش عارف أنك شغالة في الدعارة؟ يبقي اسكت عليكي ليه.

ضغطت علي فكّي بقوة هذه المرة عن أي مرة سبقت لأتجنب الأضرار.

***

في الفصول القادمة، عزيزي القارئ،
بعد عرض عالم الليل الذي لا يعلم عنه أحد أي شيء سوي من بداخله،
سنعرض عليك أحداثاً واقعية من قلب مجتمعنا، وكيف يتعامل هؤلاء معك بشكل طبيعي دون أن تتعرف علي هويتهم.

– عندما نزلت الرواية علي مواقع الانترنت كنت قلقة للغاية، فكاتبة مبتدئة مثلي ومغمورة لِمَ سيقبل عليها الناس؟ وقررت بأن أحفز القراء، فأنزلت لهم نبذة، وتلقيت الآراء الإيجابية منها، وتبعتها الآراء السلبية فرحبت بكلٍ منهم بسعة صدر، ورأيت نجاح غير متوقع للرواية في أول ساعتها حتى وصل عدد القراء إلي مائتين قارئ، فسررت لذلك، وعند بدئي بكتابة الفصول الأخرى من الرواية ترددت بعض الشيء.

– وما السبب عزيزتي؟.

– لا شيء يا صديقتي، ولكن، تذكرت فجأة أنني كنت أسكن بجانب شقة تمارس أفعالاً محرّمة.

– وكيف عرفتِ ذلك؟.

– ذات مرة كنت أخرج من شقتي، فرأيت باب شقتهم مفتوح.

قاطعتني:

– ماذا رأيتِ بالداخل؟.

– أحمر، اللون الأحمر، كان هو نبض ديكور الغرفة حيث أحدث لي ضجة في أعصابي وكأنهم يتعمدون إزعاج من ينظر إليه، فأشحت بنظري وأخذت أطلب المصعد، وبعد ما سألت حارس العقار عن تلك الشقة أجابني أنهم يريدون بيعها.

– حسناً يا أمنية، ما الذي يقلقك؟.

– أبداً يا صديقتي، لكن أتعلمين أنه حسب الإحصائيات يوجد شقة دعارة في كل شارع؟.

– قد تكون الإحصائية كاذبة.

– أظن ذلك أيضاً.

– دعكِ من ذلك، أخبريني ببقية القصة.

– باقي القصة يا صديقتي من وحي خيالي، يوجد به شخصيات حقيقية لكن الأحداث ليست حقيقية، فيما عدا إسلام، هو بيننا الآن.

– حسناً. . . لا تهتمي.

– كلا، أنتِ لم تحصلي علي الفكرة كاملة حتى الآن.

– كيف ذلك؟.

– لقد اصطفي الله إنسانة شريفة من الداخل، ووضعها في عالم غير عالمها، وحياة تنعكس عن حياتها تماماً، هذه الفتاة تمثل نقطة التحول التي يقابلها أي إنسان في حياته، نقطة التحول هذه يختارها الإنسان، فإما أن يتابع فيها، وإما أن يواجهها.

– ولكنها لم تواجهها.

هززت رأسي وتابعت:

– لا أهتم بقصة الفتاة، بقدر ما تصوره لي الحياة.

– إذن؟.

– كانت صديقتها التي تدعي ببوسي، درساً قاسياً، قد يجعل أي شخص منا أن يندم عليه طيلة حياته. أعلم جيداً أن بوسي ليست في حياة كل شخص بصورتها كما في الرواية، ولكنها موجودة بصورة آخري، بصورة الId، وهو فيما

معناه النفس الأمارة بالسوء، وهو موجود لدي كل إنسان، ويوجد من يستمع إليه ويطيعه، ومنه من لا يستمع إليه، وتختلف بين كل شخص والآخر حسب إيمانه بنفسه وبربه.

- أمنية. . . كفِ عن فعل ذلك، وتابعي بالحكِ.

-ولكن يا صديقتي، ظننت أنكِ ستستمعين إلي.

-لست صديقتك يا عزيزتي، أنا هي أنتِ، كل ما بالأمر أنكِ كنتِ تناجين نفسك.

الفصل الخامس

في أحدي جلساتي المتواضعة مع المعالجة النفسية، كنت أتحدث بطلاقة في شتي المواضيع التي لا أستطيع التحدث بها مع عامة من الناس، قد لا يفهمون ما أعنيه ولو شرحته بمختلف الطرق، فمستوي تفكيرهم البسيط لا يفهم تلك الأفكار العامة.

ملت للأمام بظهري نحوها حيث كانت تجلس علي كرسي أمامي، ثم تمتمت:

– أنا بتعب أوي مع الناس اللي حواليا، وبتيجي عليا فترات ببقي عايزة أرجع أقعد في الكلية، مش مهم أدرس، بس بحس أن مكاني هناك، مش في بارات الليل.

– اشمعنة بتحسي بده؟.

هززت كتفي.

– كده. . . عشان بيفكروا، مش بيحسوا.

– مفيش بني آدم مش بيحس.

نظرت لها بحدة، ستعود وتجادلني مرة آخري. رغم ذلك، تابعت في هدوء:

– مش الفكرة.

قاطعتني:

- أنا فهماكي.

ابتسمت لها ببرود:

- مانا مش عايزة اللي يفهمني.

- أنتي محتاجة حد يحس بيكي.

هززت رأسي نافية:

- لا برده.

- أمال عايزة تقولي إيه؟.

- هقولك، بصي، هو علي فكرة المستشفي شبه الكباريهات والبارات، مفيش فرق.

- إزاي؟.

- علي فكرة هنا في عيانين، وهناك في عينانين برده، وهنا في كحوليات وأدوية، وهناك في خمرة وفي مخدرات وحبوب، وفي بلاوي. في المستشفي في دكاترة، وفي البارات في دكاترة برده عادي، بس في المستشفي بيعالجوا، وفي البارات بياخدوا المرض من اللي حواليهم.

- أيوة بس دي مجرد وجهة نظر، مش شرط تكون صح.

ضغطت علي فكّي في غيظ.

ثم تابعت المعالجة:

- يعني أنتي عايزة تقولي أن المكان اللي ربنا قال أن الدكاترة دول ملايكة الرحمة، وتيجي تشبيه بالبارات.

رفعت حاجبي بإندهاش، فيما كانت تكمل هي:

- كلام مش منطقي برده، ولا أنتي إيه رأيك!.

ساد الصمت للحظات، كنت علي وشك أن أصفعها علي وجهها عدة مرات لكني ملكت نفسي.

أومأت برأسي:

- هي وجهات نظر فعلاً.
- طيب؟.

حاولت أن أبرر وجهة نظري.

-علي فكرة المدرسة زي الكباريهات برده، في المدارس زي ما في طلبة بيرقصوا علي مهرجانات، في الكباريهات كده، ولا إيه؟ المدراس بقي مكان للتعليم بس؟ طيب ما البارات بتعلم الصنعة، بتعلم كتير عن الحياة، ودي دروس مش بتتدرس في المناهج رغم أنها دروس هتستمر مدي الحياة، مش زي ارتفاع قلعة قاي باي وكام ومساحتها، وطول الهرم كام، بتحشوا الطالب بمعلومات هو في غني عنها طول حياته، نفس الكلام في البارات برده، بنحشر دماغ الناس بخمرة، وهما في غني عنها.

تلقت المعالجة ذلك الكلام مني متفهمة وجهة نظري، ثم أومأت وقالت بلطف:

- ماشي، كملي عايزة تقولي إيه كمان؟.

نظرت لها بنصف عين متسائلة:

- أنا ليه حساكي مش طيقاني؟.

ابتسمت ابتسامة هادئة ونفت ذلك:

- بالعكس والله.

- يمكن.

-طيب. بصي يا سارة، أنتي مش واثقة في نفسك.

قاطعتها دفاعاً عن النفس:

- بالعكس خالص!.

أكدت لي.

- أنا بكلمك من المرجع النفسي اللي عندي.

- لكن مش بحس بده.

-طيب، عشان نوصل لحل، أنتي محتاجة تفهمي نفسك، تفهمي أنتي ليه بتعملي كده وليه بقيتي كده، حتى وأنا بسألك أنتي إيه اللي خلاكي تمشي في الطريق ده مع أنه بإختيارك أنك متعمليش كده.

-ده الحل؟.

-لأ طبعاً، العلاج النفسي بياخد وقت، بس كل حاجة هتتصلح.

في عالم ملؤه التناقض لا يتقبل فكرة التناقض نفسها، الخلل لا يعد اضطراباً نفسياً، في الواقع الاضطراب النفسي يصعب علاجه، كالشخصية الحدية، أو السكيتسوفرينيا، وغيرهم من اضطرابات تتسم بسلوك غير طبيعي، كلنا طبيعين، ولكن معظمنا غير سوي، فكيف لي أن أعيش في طفولتي مع مدرسين، أتلقي العلم وأتعلم دروساً دينية وأخلاقية، ثم أعود إلي المنزل أتجالس مع والدتي التي تشدد تربيتها علي، وبقية اليوم أتحدث مع أصدقائي في مواضيع خارجة عن الأدب، والدين.

فتيات الليل كممثلين السينما، يعيشون وسط الجمهور والإضاءة، وفجأة يعودون لمنزلهم بين عائلتهم ليعاملوا كبقية المواطنين المغمورين، فتختلط الشخصيتين مع بعضهما لتشكل خللاً، وفي أخطر الحالات تشكل اضطراباً.

عند حديثي مع المعالجة، حاولت أن تجعلني أفهم نفسي أكثر من ذي قبل، وكانت الفكرة في ذلك أن أكون علي وعي بنفسي، وما أفعله، ولِمَ أفكر بهذه الطريقة، والسبب وراء سلوكياتي كلها، فكان هذا الجزء من خطة العلاج هدفه الرئيسي أن أتحكم بتفكيري، لأستطيع التحكم بمشاعري، تلك المشاعر العنيفة من غيرة وغضب ومبالغة، كل ذلك إذا اعتدل، وأصبحت سوية، سيكون لي سلوك مقبولاً من المجتمع.

وصلت إلي العزاء، كان في مسجد بعيد عن دائرة الزمالك وقصر النيل، تخطيت مكان الرجال، لكنني أجبرت علي الدخول منه لأن المسجد كانت له فتحة واحدة ندخل منها إلي مقر النساء.

كان علي المرور أمام صف من الرجال يقف علي يساري، كلٍ منهم يرتدي لوناً مختلف عن الآخر ولا تتوحد ملابسهم باللون الأسود.

ضاقت عيني فجأة! مهلاً، هناك اثنين من كريم!.

سمعت صوت بجانبي:

- البقاء لله.

لحظة واحدة، ما الذي جاء بنور إلي هنا!.

حاولت فهم ما يجري عندما رأيت أن هذا الصف من الرجال يقف فيه نور وكريم، وبجانب كريم شاب بدا أنه في منتصف الثلاثينات، ذقنه خفيفة وشعره أسود لامع وطويل، وبجانبه شاب آخر يشبه كريم.

سلّمت علي نور بيدي، فصافحني، ولما قلت له البقاء لله لم ينظر في عيني وبقي محدقاً للأرض وعلي وجه علامات الدهشة من مجيء.

تجاهلته ومررت سريعاً نحو كريم، مددت يدي ليصافحني، فأمسك بها برفق، شعرت أنه يتردد في السلام، وبقي متلعثماً، ينظر حوله محاولاً الفرار بنظراته مني، وكأنه لا يعرفني.

لم أمانع في جعل هويتي مظلمة إلي الحين المناسب، فمررت من عليه، وما إن نظرت في وجه الشاب الذي يقف بجانبه ذو الذقن الخفيف، نظر لي وقد عقد حاجبيه في غرابة. كنت أعلم أن وجودي غير مرحبٍ به، لكن نظراته لم يكن لها تفسير، فهو لا يعرفني.

سلبت يدي بجانبي، ورددت بالبقاء لله دون أن أصافحه، فقد منعتني نظراته عن ذلك.

نظرت لذلك الرجل الرابع، الذي طبع عليه الشكل الخارجي مطابقاً لكريم، لم أكن علي علمٍ بأن كريم له توأم، ومن غضبي وحنقي تجاه كريم وتجاه تصرفاته الأخيرة لم أشأ أن أضع يدي في يد توأمه، يكفيني أن صافحت كريم.

سرت تجاه اليسار حيث رأيت الكثير من النسوة متجمعين، ولاحظت أن ملامحهم متشابهة، فبدا أن عائلة كريم عائلة كبيرة، أي أنهم ليسوا من سكان القاهرة، فعادتاً أهل القاهرة يلتزمون بعدد قليل من الأبناء ليتحملوا مصاريف الحياة في العاصمة.

اتخذت كرسياً بعيداً يقع في زاوية قاعة المسجد، ولم أبالي بهؤلاء النسوة الذين يحدقون إلي ونظراتهم تتساءل.

احترمت حرمة المكان، فسويّت جلستي وحاولت قدر الإمكان ألا أضع ساق فوق الأخرى أو أشعل سيجاراً، رغم أنني احتجت فعل ذلك بشدة.

***

في حديثي مع طبيبة نفسية، سألتني سؤالاً عجزت عن إيجاد إجابة له.

- عارفة ليه الناس بتشرب سجاير؟.

هززت رأسي واستهلكت كل تفكيري لمحاولة إيجاد إجابة علمية، فلم أجد.

ابتسمت وأجبت:

- عادي يعني، بيشرب سجاير عشان هو عايز كده.

ردت بهدوء:

- ما أكيد في سبب.

- أنا مش شايفة سبب.

أومأت رأسها بتفهّم.

-الإنسان لما بيتولد أول حاجة بيعملها أنه يصرخ، وبعدين يبتدي يرفص بإيديه ورجليه، بعدين يتنقل لمرحلة الرضاعة، وبعدين مرحلة الكلام، كل دي مراح فمْيّة.

دائماً ما أحب الإنصات للأطباء لأنهم يضيفون لي كل ما هو جديد، فهززت برأسي وأردت أن تتابع.

تمتمت:

-في ناس بتنتهي عند مرحلة الكلام، وناس، بترجع لمرحلة الرضاعة، طبعاً مش بيرضعوا، لكن عشان السن، فالموضوع بيجي بطريقة غير مباشرة، عشان كده

بيشربوا السجاير، عشان يطلعوا الغضب والعنف، والرغبات المكبوتة، وكل المشاعر السلبية اللي ممكن تتخيليها في صورة دخان.

أقنعتني تمام الإقناع أن السجائر عامل علاجي مهم رغم عدم أتفاق الأطباء والشيوخ عليه، فلِمَ يعبر الإنسان علي غضبه ويؤذي غيره فيما يمكن أن يشرب السجائر؟.

ألتفتت بجانبي لأري السيدة التي رافقتني بسيارتها إلي العزاء تجلس جانبي، كنت قد ظننت أنني فقدتها وأنا ألقي السلام علي هؤلاء الرجال، فانتهزت فرصة بأن اسألها عنهم.

ملت نحوها قليلاً وقلت بصوت خفيض:

- هما مين اللي جنب كريم دول؟.

لفت برأسها ناحية اليمين حيث كانوا يقفون، وأشارات علي التوأم الذي ظننت في البداية أنه ليس كريم.

- اللي علي شماله دول؟.

رفعت حاجبي في دهشة:

- هو ده كريم؟!.

خفضت يدها إلي جانبها ونظرت لي.

- هههههه، ناس كتير بتتلخبط ما بينه وما بين طارق.

- طارق. . .

- آه، ده المفروض أنه هيبقي أخصائي السنادي علي كلام كريم.

استغربت ما قالته، فوجه طارق لم يسبق وأن مرّ علي في الكلية.

- أخصائي؟ هو في كلية طب؟.

- آه، جراحة أعصاب.

رفعت حاجبي بدهشة أكثر.

- واو، ده علي كده من الأوائل بتوع الدفعة.

الأمر يزداد غرابة، إذا كان هو من أوائل الدفعة فعلي الأرجح أني أعرفه، أو بتأكيد هو يعرفني لأني كنت في سنة من أوائل الدفعة.

حاولت أن أصرف التفكير عن ذلك الأمر، ورحت أعيد لها سؤالاً:

- طيب واللي جنبه؟.

راجعت تنظر إليهم.

- ده إسلام، أخوهم الكبير، واللي جنبه كريم وبعديه نور، أصغر واحد فيهم.

- دول إخوات! وإيه قصة كل واحد فيهم؟.

- أنا معرفش كتير عن كل حد فيهم غير طارق وكريم، لأني بشوفهم مع بعض أغلب الوقت، وآخر مرة كان طارق عزل من شقة كريم وطلب منه أنه يجيب خدامة عنده في البيت عشان مش عارف يعيش وسط الأدوات الطبية بتاعته، متعرفيش واحدة بنت حلال كده صغيرة تقعد معاه؟ تروقله الدنيا وتمشي بليل، أصل كريم طلب مني أني اسأل وأنا مش لاقية حد.

- مممم، بصراحة معرفش، لكن ممكن أبقي أسألك وأكيد هلاقي.

- بجد؟.

- آه أكيد، هاتيلي عنوان بيته وأنا في خلال يومين هبعتله واحدة.

قالت لي مرحبة بالفكرة:

- تمام أوي.

امتدت شفتي بابتسامة واعتقدت أنني قد اقتربت من عائلة كريم بشكل غير مباشر، لكن من تلك الفتاة التي أثق بها لتذهب إلي طارق وتعمل في بيته دون أن تسرقه أو تتحرش به؟ في الواقع لا أعرف، والأمر محير قليلاً، إلا أنني لا أهتم إن وجد فتاة أو لا.

تعالت آيات القرآن بالجامع، وبدأت أشعر بالملل وسط هؤلاء الغرباء.

لا أعلم لِمَ أتيت في الأصل، لكني انتظرت قليلاً وهممت بالرحيل، لكن، قبل أن أغادر كنت قد نظرت جيداً إلي وجوه الأخوة فحفظت ملامحهم جيداً، وغادرت.

وقتها لم يكن لي خيار إلا أن أعود إلي شقة الزمالك، فأخذت مواصلات إلي هناك وابتعدت عن سيارات الأجرة هذه الفترة لِما أواجه من صعوبة في الحصول علي المال.

ما إن تجاوزت عتبة الشقة نظرت أمامي، فشاهدت صديقتي جالسة علي أريكتها تعضض أطراف أصابعها.

بدا وجهها شاحب للغاية وعينيها واسعتين ممتلئتان بالدموع.

سألها والفزع يتسلل إلي قلبي:

- بوسي في إيه؟!.

نظرت بعينيها البنيتين إلي ملف كبير موضوع بجانبها، ولم يبدو أن الملف غريب علي أنظاري، فقد كان ملف طبي يحمل صور الأشعة.

اندفعت نحوها وأخذت أحمل الملف وأخرج ما به من أشعة لأجد من بينهم تقرير، ما إن وقع بين أصابعي وأنا أشده من قاع الملف، وضعته بين يدي لأفتحه وأخذت في قراءته، وتبيّن لي أنها مريضة بمرض خبيث.

التفت إليها في فزع:

- كانسر؟!!.

أجهشت بالبكاء.

- أنا مش عايزة أموت يا سارة، مش عايزة أموت وأنا كده.

ما أسوأ ذلك الشعور.

تذكرت نفسي عندما أناجي روحي بكلام قاسي يعذبها في كل ليلة قبل المغادرة إلي النوم، كيف ستقابلين ربك بهذا الشكل؟ ماذا ستقولين له عندما تقابلينه؟ ستشهد عينيك وأذنيك عن كل صغيرة شاهدتيها وسمعتيها؟.

أشحت بنظري بعيداً عن صديقتي، فالأمر مؤلم أكثر مما كنت أتوقع، وماذا لو كنت مكانها الآن؟ يا إلهي، كلا لا أريد تخيل ذلك.

نظرت لي في توسل:

- هنعمل إيه؟.

ما باليد حيلة، فكل الظروف حولنا ضدنا.

هززت رأسي وشعرت بخيبة الأمل يا صديقتي، عليكِ الاستسلام لِما وضعتي نفسك فيه، ودعيني وشأني، قد أعلن توبتي، دعيني أقبل علي الحياة لأول مرة، وافعلي مثلي، فلعللكِ تغادرين العالم والله يقبل توبتك.

- إحنا معادنا مع الدكتور النهاردة؟.

- أيوة. . .

- طيب، هنروح وهنشوف كلامه إيه.

بيدها تمسكني بقوة من ذراعي وهي تقوم بهزها لتجذب انتباهي، رغم أنني لم أكن شاردة عنها، لكني ألتفت إليها بأنظاري وتلقيت منها كلمات صحبتها نبرة عالية:

- والفلوس؟؟ عملتي إيه في الفلوس؟!.

كلما ذكرت تلك اللحظة اللعينة التي أوقعتني بيد الصحفي لعنت كل شيء حولي، وتمنيت لو أن يومه قبل يومي، لكن العزاء جعلني أتوقف عن التخطيط، كل شيء معطل أمامي الآن، يا الله، لِمَ تفعل هذا بى؟.

عيني صديقتي كانت تستنجد بى، وكنت علي وشك أن أخيب أمالها. أذاب الخمر عقلي، وعدت أجد صعوبة في حل المشكلات.

أثناء العزاء حصلت علي معلومات سطحية لا تدلني علي شيء، وهذه السيدة، أوه! كانت قد طلبت مني فتاة لتعمل في شقة طارق.

هززت رأسي.

- معرفتش أتصرف.

- بتهزري!! أنتي عارفة إحنا محتاجين كام بس عشان نصرف علي العلاج!.

نهضت من جانبها ودفعتها بذراعي، ثم استدرت أنظر إليها ورددت بقرف:

- تحتاجي كام ولا متحتاجيش مش قصتي.

- إيه ده أنتي بتكلميني كده إزاي؟.

أردت الصراخ والصياح بصوت عالي، احتجت لمكان واسع للغاية وبعيد عن الناس لأفعل ذلك، لكن هذا لا يتيح لي أغلب الوقت، ولم أمانع إن فعلت ذلك مع صديقتي.

صحت فيها:

– بكلمك إزاي يعني؟ بقولك إيه شيليني من دماغك، وأنتي من طريق وأنا من طريق.

– طريق يا روح أمك! أنتي ناسية لما كنتي بتتخانقي مع البنات في الكبريهات علي الزباين، وتجرجري البنت من دول من شعرها عشان بس خدت فلوس أكتر منك. طول عمرك طماعة.

إنها تذكر كل شيء، لا تنسي، وهذا يزيد من غضبي، فأنا أتمني لو كل الذكريات تُمحي من ذاكرتي وأولد كالرضيع، لكنها تعمدت فعل ذلك، ويبدو أنها تريد إلحاق الأذى بنفسها.

غضضت شفتي بعنف، كدت أن أقطعها من الغيظ، ولم أتمالك نفسي طويلاً، فاتخذت خطوة سريعة نحوها وشددتها من شعرها لألقي بها أرضاً.

اعذريني يا صديقتي، فنحن لم نكن أصدقاء يوماً ما.

ركلتها بقوة في مناطق جسدها، لم أكن اشعر بنفسي، ولا بصيحات الآهة التي كانت تصدر منها عندما أضربها، كنت مغيبة، أجل، ليست من طبيعتي إيذاء غيري، فأنا لا أؤذي سوي نفسي دوماً.

رأيت يدها تمتد وتحاول أن تمسك قدمي، فنظرت لها وهي ملقاة علي الأرض، وضغطت بقدمي علي يدها حتى كادت أن تلتصق بالأرض.

صاحت من الصراخ مجدداً، وتبع ذلك الصراخ دموعاً من الألم.

لفت بجسدها علي الأرض وأمسكت بيدها الأخرى قدمي، فشددتها نحوها إلي أن سحبت معها ووقع علي رأسي.

اصطدمت رأسي بطرف طاولة، فشعرت وكأن سكّين أخترق جمجمة رأسي، وحينها كنت أحارب لأفتح عيني فقط، إلا أنني عجزت عن فعل ذلك،

فأغمضتهما وغيبت عن العالم الخارجي لأحبس بشاشة مظلمة، شاشة استمرت لساعات تعرض لوناً أسود لا أري من خلاله ضوء يدل علي الحياة، وحينها، لم أدرك أين كنت.

للحظة شعرت بشيء ما يهتز تحت جسدي، شعرت أنني لازلت علي قيد الحياة.

للوهلة الأولي سمعت أصوات كثيرة حولي، وبدا شعور الاهتزاز من تحتي يزداد إحساسي به.

- بسرعة! بسرعة!!.
- لأوضة العمليات.
- طارق موجود؟؟.
- طارق مستني جوا مع كارلا.
- طيب أفتح الباب بسرعة!.

فتحت عيني، لأجد مصابيح دائرية مجمعة داخل دائرة سوداء كبيرة تنير بشدة ضوءاً أبيض كاد أن يعمي عيني من شدته، فرحت أغمضها، لم أعلم أنني بغرفة العمليات، أو من نقلني، وماذا حدث بعد الوقعة.

شعرت بشيء ما يؤلمني ألم لحظي في ذراعي، وبعدها غيبت عن الوعي تماماً، فبدا أنني أخذت حقنة البينج.

***

قصصت علي كريم وأنا أتذكر التعب الذي شعرت به بعد العملية، فلاح الحزن في عيني:

– مكنتش حاسة بنفسي، وفي أصوات كتيرة حواليا بس معرفش بيعملوا إيه، أحياناً في وسط البنج بفتح عيني وأرجع علي طول أقفلها، بس طارق اللي كان بيحكيلي ده.

– كانت العملية دي ليه؟.

– بعد مع وقعت وخبطت في سن الطرابيزة دماغي بدأت تنزل دم جامد، وبوسي مكانتش عارفة تتصرف إزاي، في نفس الوقت مش عايزة يكون عندها جثة في البيت، قامت اتصلت بالإسعاف، وراحت هي تخرج من الشقة وسابت الباب موارب عشان لما الإسعاف تيجي ميحصلش سين وجيم، وطارت علي شقة التجمع وأنا مرمية في الشقة ساعة لحد ما الإسعاف جت.

– كان ممكن تموتي فيها.

– أموت! ده كان المفروض يجوا ينقلوني علي المقابر! بس ربنا ستر!.

– طيب وبعدين؟.

– ولا قبلين، العملية خلصت ونقلوني في العناية المركزة، وكنت سطيحة، كنت بتقلب في السرير بالعافية.

– قررتي تتوبي بعدها؟.

أومأت مؤكدة:

– قررت جداً.

– الموضوع بدأ معاكي إزاي؟.

اتسعت حدقة عيني:

– بدأ بعد العملية بأيام.

– احكيلي كده.

– لما بدأت أفوق من البينج وأحس بالوجع، أول صوت سمعته صوت كارلا.

– كارلا؟ أنتي كمان عرفتي كارلا؟!.

ابتسمت بمرارة:

– آه للأسف. . .

– كارلا إنسانة كويسة، مالك بتبصيلي كده ليه؟!.

هززت رأسي يميناً ويساراً.

– لا، لا مش الفكرة، بس. . . كارلا كانت أصعب واحدة قابلتها، كانت وقفالي في الزور، مجرد ما بسمع اسمها كنت بقيد نار، كنت عايزة أخلص منها بأي شكل، وفي نفس الوقت مكنش ينفع.

– ليه كنتي كده؟.

همست:

– عشان كنت بحبه.

***

فتحت عيني وحدقت أمامي، فكان جانب السرير جدار، وسمعت صوت طارق وكارلا يتهامسان بجانبي، في البداية ظننت أنهم يتحدثون عني، لكن هناك أمراً أهم من ذلك بينهم.

ربّت طارق علي كتف كارلا وقال:

– ماشي يا حبيبتي، بعدين نبقي نتكلم في الموضوع ده، خلينا في الحالة اللي قدامنا.

ابتسمت له كارلا بلطف، فلمع بريق عينيه.

كانت كارلا طويلة القامة وشعرها اسود منسدل علي طول شعرها، عينيها بنيتان وتملك أنفاً مستقيم، لم تكن فاتنة للغاية ولكنها امتلكت مكاناً خاص داخل قلب هذا الأخصائي.

نظر طارق إلي، ولم أكن أراه، فقط صوته يتردد قربي، فقد عجزت علي أن أحرك رأسي لألف بالناحية الأخرى.

لف طارق للناحية الأخرى من السرير، وشعرت بيده تقترب من رأسي لتحمل ما عليها من شاش، فأخذت أتابع حركة يده إلي أن أمسكت بالشاش.

تأوهت.

تمتم بهدوء:

- حمد الله علي السلامة.

أغمضت عيني في ألم:

- الله يسلمك.

لم يكفي بكاؤها حسرة، ولا مرضها، وازداد الأمر سوءاً عندما ذكرت لي المال. شعرت

سحب كرسي من جانبه ليجلس عليه، فأصبح في مستوي نظري تقريباً.

- تقدري تفتكري اللي حصل لك قبل الحادثة؟.

بلعت ريقي للحظة قبل أن أجيبه:

- كانت خناقة، واتخبطت في سن طرابيزة.

نظر لي باستغراب:

- مش فاكرة حاجة تانية؟.

- لأ.

- مش بتتهمي حد؟ أصل الأسعاف دخلت البيت ملقتش حد غيرك.
- ما قولتلك، كانت خناقة.
- كنتي بتتخانقي مع نفسك!؟.
- لأ، حد من صحابي، وحصل اللي حصل.
- ماشي، أنا هكتب الكلام ده في التقرير، مش عايزة تبلغي عنهم أو أضيف حاجة؟.
- لأ.

لم أريد أن أسامحها، لكني أردت أن أغسل ذنوبي بشيء طيبٍ، وسامحتها. يكفي ما حدث آخر مرة، فلازلت صورتها بذهني وهي تصرخ من ألم النزيف وألم السرطان وألام الضرب، سأغفر لها لعل الله يغفر لي.

اقتربت كارلا من طارق ووقفت جانبه، فأسندت يدها علي كتفه وهي تحدّق إلي، نظرت إليها لأعرف ملامحها ولم أهتم لأمرها حينها، فقط لاحظت طارق ينظر إلي بفضول ويدقق النظر في وجهي، ثم سألني:

- إحنا اتقابلنا قبل كده؟.

رسمت شبه ابتسامة علي وجهي، وقلت بصوت أجش:

- أيوة. . . في العزا.

أومأ رأسه وابتسم هو الآخر:

- أيوة صح، أنتي مع كريم في الشغل؟.

كنت سأهز رأسي بالنفي، لكنني شعرت بثقلها وآلمتني، فقال:

- خدي بالك، مكان الجرح لسة موجود.

شعرت بالحماقة مما يقول، من المفترض أني في طب وأعلم تلك المعلومات البسيطة.

- خت بالي.

لم أجيبه علي سؤاله بعد فأخذ ينظر لي منتظر مني إجابة، ورأيت عيني كارلا يملؤهما الغضب، نظرت لها بارتباك وتساءلت لِمَ قد تنظر لي هكذا.

قلت الكلام ببطء:

- أنا سمعت من كريم أنك عايز بنت في البيت تشتغل. . . فكنت جاية مكان شغل كريم. . . وبعدين سألت عليه قالولي أنه في عزا. . . فكان صعب أني أرجع بيتي وأخبط المشوار ده تاني، قلت أروح العزا.

- أنتي ساكنة فين يا. . ؟.

- اسمي سارة.

- تمام يا سارة.

- أنا ليا شقة في التجمع الخامس.

- آها، لا ده منطقة بعيد فعلاً، ومش مسكونة كمان.

- أيوة.

- طيب لما تفوقي كده وتبقي كويسة هنبقي نتكلم في الموضوع ده، وأنا بعدي هنا كل يوم علي الحالات، بكرة إن شاء الله هنخرجك من العناية المركزة.

- تِسلم.

نهض من كرسيه ورحل، فيما كانت تلك العقربة كارلا تنظر لي بين اللحظة والآخري نظرات شذرة لا أفهمها.

كلمته كارلا خارج العناية المركزة بغضب، رأيتها من خلال الزجاج وهي تشيح له بيديها، وقد حاول تهدئتها قد المستطاع لكنه فشل، حاولت تخيل الكلام بينهم فلم أستطيع.

- مين دي يا طارق؟!.

أجابها بهدوء:

- فيه إيه يا كارلا؟ ما زي ما قالت البنت من شوية.

-عمرك ما فتحتلي سيرة أنك عايز بنت تشتغل عندك في الشقة، أنت حكيتلي أنك شغلت قبل كده واحدة وسرقتك، ومن ساعتها وأنت قاعد لوحدك.

تنهد طارق، فيما عقدت ذراعيها علي صدرها في غضب.

قال مطمئناً:

-كارلا، الموضوع مفهوش حاجة، مش مستاهلة الغيرة دي والله.

-ماشي يا طارق.

كان في صوتها شيئاً من التهديد، وكان موقف طارق سيء في ذلك الحين، بينما أنا نائمة في سريري، وبدأت أشعر بشيء ما في أنفي يزعجني، رفعت يدي نحو وجهي ولامسته بأطراف أصابعي، فبدا لي أنه أنبوب للتنفس.

لا أعلم ماذا حدث لي حين الحادثة، لا أظن أني اصطدمت بحافة الطاولة وفقط. في حالتي استغرقت ثلاث أيام بالمستشفي، وكان طارق يمر علي كل يوم كما أخبرني، لكن بدون كارلا، فكان يمر مع طبيب آخر متخصص، آخر مرة كان قد نزع الأنبوب من أنفي ونزع بعض المحاليل، لكنه استمر في أعطائي جرعات من الكورتيزون لأيام إلي أن أخرج من المستشفي.

شاهدته وهو يقترب من السرير ليجلس أمامي، مال نحوي قليلاً وقال بلطف:

- إيه أخبارك؟.

ابتسمت في رقة، وهمست:

- أنا تمام الحمد لله.

- الحمد لله، أنا جيت لك الصبح أشوف الكورتيزون، ورسم القلب والأشعة والسكر وكله اتزبط عندك.

حافظت علي ابتسامتي وأنا أحدّثه.

- الحمد لله.

أومأ رأسه وتابع في هدوء:

- آه الحمد لله، دلوقتي أنا جايلك عشان أتفق معاكي بخصوص أنك هتيجي تشتغلي عندي في البيت.

- تمام.

- أنتي بتدرسي ولا إيه نظامك؟ واحكيلي كده عن ظروفك كلها.

وضعت يدي جانبي وضغطت عليهما لتسندا جسمي فأحاول الجلوس بإعتدال علي الكرسي، فشعرت بيدي طارق تمسكان بذراعي ليساعدني، لكنني دفعت يده ومنعته، ثم قلت:

- لا لا، سيبني أنا هعرف أقوم.

ابتسم وتركني، ثم جلس علي كرسيه، وفي حين انتهيت من ضبط نفسي علي السرير لففت رأسي نحوه، وتمتمت:

- بص يا سيدي. . . أنا عايشة مع والدتي في الزمالك.

- فين في الزمالك؟.
- في المنطقة اللي فيها عمارة أم كلثوم.

رفع حاجبيه وقال بدهشة:

- طيب أنتي علي كده عايشة في مستوي حلو، إيه اللي يبهدلك يا بنت الناس؟ بس إيه ده؟ استني لحظة، أنتي مش قولتيلي أنك ساكنة في التجمع؟.

ضممت حاجبي باستغراب:

- أنا قلت كده؟.
- ده اللي أنا فاكره يعني.
- لا هي شقتي في التجمع. . . أقصد الزمالك، آسفة.
- ركّزي ركزي، أنتي فطرتي النهاردة كويس؟.

زممت شفتي وقلت في أسف:

- فطرت كويس أيوة، لكن، بص عشان أبقي واضحة معاك، أنا ليا شقة في الزمالك، وبتاعت التجمع دي بتاعت صحبتي وأنا بقعد معاها هناك.
- وهتستقري فين؟.
- في التجمع.
- أكيد؟.
- أكيد.
- طيب، 200 جنيه في اليوم كويس؟.
- 200 جنيه علي إيه؟.

– تنضيف ومسح وتاخدي بالك من حاجتي في البيت، عشان عندي أدوات كتيرة بتاعت الكلية وكتب، ولبسي، لبسي بيحتاج تنضيف صعب جداً بسبب المعامل، ده غير الفطار والغدا.

أومأت رأسي متفهمة.

– خلاص ماشي.

– طيب، دلوقتي أنا عايز بطاقتك.

نظرت له بارتباك.

– ليه؟.

– معلش، ده إجراء بسيط لأني سبق واتسرقت من بنت جت اشتغلت عندي، مفهاش حاجة لو سألت عنك، ولا أنتي عندك مشكلة؟.

أجبته في تردد وأنا أحس إني قد أرتبك في حقي أكبر خطأ:

– لا تمام.

***

نظرت لكوب الماء الذي حضرته لكريم ولم يشرب سوي نصفه، والنصف الآخر في الكأس، رأيته يغيّر في لون المياه، فابتسمت في خبث وقد تأكدت أن البودرة ستبدأ في التفاعل داخل معدته ويؤدي وظيفته.

تأملني كريم للحظة:

– بتبصي علي إيه؟.

التفتت إليه شاردة الذهن:

– ها؟ لا تمام.

رأيته ينظر لكوب المياه، وأعاد نظره إلي، فبدا أنه لم يلاحظ شيء.

تمتم:

- مردتيش علي سؤالي.
- أنهي سؤال؟.
- طارق عمل إيه لما خد بطاقتك؟.

هززت كتفي بلا مبالاة، وأجبت بثقة:

- لا أبداً، راح سأل وملقاش حاجة.
- أيوة، بس أنتي ملفك دلوقتي مش سليم.

ابتسمت في تحدي:

- والمطلوب؟.
- يعني مش همّك؟.
- ولا في دماغي.

ثم نظرت له بنظرة تحدي أقوي:

- الدور والباقي علي اللي راح سأل عليا تاني.

***

فتح باب شقته وترك لي مساحة لأدخل، ثم تمتم:

- اتفضلي يا سارة.

دخلت شقة طارق إلي جانبه، وقفنا بعد باب الشقة بخطوات وأقفله خلفي، نظرت حولي لأري صالة واسعة ضمت أثاث جديد وضخم، لكنه كان مغطي بالكثير من الأوراق والكتب، أعتذر عن هذا المنظر وقال:

- معلش زي ما أنتي شايفة، شقة عازب.

هززت رأسي:

- لا ابداً. . . بس شكلي هاخد وقت.
- طيب كويس، أنا هسيبك دلوقتي.

نظرت إليه وقاطعته:

- لفين؟؟.

فتح فمه للحظة، ثم أجاب بعدها:

-لـ.. للمستشفي، عندي شيفت النهاردة بليل، وهرجع علي الساعة 12 كده، تكوني أنتي روحتي.

أومأت رأسي:

- ماشي.

-بصي لو ملحقتيش توضبي كل ده النهاردة مش مشكلة، تعالي بكرة، بس أنا عايز أرجع يكون في البيت عشا، لأني برجع جعان جداً.

-عنيا حاضر.

قلت هذا وكان قد أنطلق خارج الشقة، لاحظت أنه كان يغمز لي بعينيه ويغازلني، تلعثم في الكلام فجأة، وبدا مريباً.

أخذت راحتي في شقته، بدأت بالجلوس علي الأريكة التي امتلأت بورق مذاكرة للطب، جلست في راحة وأرخت ظهري للخلف، ولم أكن أشعر أن شيئاً ما خلف ظهري، فوجئت بصراخ يصدر من خلفي وسرعان ما انتفضت من مكاني، والتففت لأجد قطة صغيرة لونها أبيض وعينيها عسلية تصدر صوت أشبه بالنحيب، لكنه كان علامة علي التهديد.

زفرت أنفاسي، يبدو أنني سأتعب في تلك الفترة حتى تنتزع عني المراقبة، علي أن أصل إلي كريم بأي شكل لأدعه يلغي المحضر، هل أوقع أخيه بالمشاكل

وأذله ليخلع عني المراقبة؟ سيكون الأمر مسلياً، كثيراً ما تكون الأفكار الشريرة نابعة من أشخاص طيبين. تناقض.

قضيت أول يوم في شقة طارق أعبث بأغراضه، أعجبت بالهيكل العظمي الذي وجدّته في غرفته، جعلني أتذكر الهيكل العظمي الذي كان في شقتي، لكن أعتقد أن والدتي ألقت به منذ أن غادرت البيت.

رأيت في غرفته الكثير من الأجهزة الالكترونية موضوعة علي التسريحة الخاصة به، تداخلت بينهم الأسلاك والسماعات الصغيرة، فكرت بسرقتهم، لكن سرعان ما صرفت النظر وخرجت من غرفته لأجد غرفة أخري بجانب غرفته شبه فارغة، تواجد فيها سرير ودولاب، وقفت علي عتبتها بعد أضئت النور بداخلها، وتأملتها لقليل، ثم شعرت من تحتي بالقطة تتمسح في ساقي وتخرج صوت أشبه بالشخير ولكن هادئ، نابع من داخلها، إنه صوت يعبر عن الاطمئنان في لغة جسد القطط، ولما رأيت زيلها منتصب فعلمت أنها جائعة، استدرت وأغلقت نور الغرفة ورائي ثم مشيت أتوجه للمطبخ.

طرقعت أصابعي لها وأنا أسير جانبها:

- بس بس بس، تعالي.

اتسعت عيني القطة فجأة وأسرعت بخطواتها خلفي، توجهنا سويّاً، إلي المطبخ، وقمت سريعاً بفتح باب الثلاجة، لأجد في أول رف أطباق بيضاء بها قطع من البسطرمة، فأخرجتها، أمسكت شريحة من البسطرمة وفجأة وجدت القطة تقف علي قدميها وتتشبث بأظافرها في سروالي، شعرت بها، كنت مثلها أجلس فترة طويلة بدون أن آكل، لم أبخل عليها بشريحتين من البسطرمة وبحثت لها عن شيء آخر في الثلاجة لتأكله، ما إن وقعت عيني علي البيض في باب الثلاجة

أخذت واحدة، واستدرت لأبحث عن الموقد الكهربي، فكان في الطرف، رفعت قدمي من علي الأرض لأتجاوز القطة التي تلتهم وجبتها وقمت بتسخين المياه علي النار، ورجعت أفتح الثلاجة مجدداً باحثة عن أكل آكله.

***

دخلت صديقتي مستشفي القصر العيني قرب منتصف الليل، رأت طبيباً جالس في أحدي ممرات المستشفي بقسم الولادة، انطلقت نحوه وسحبته من يده، لم يفهم ما يحدث، أخذت تتنفس بصعوبة وتحاول أن تختطف أنفاسها لكن شعرت بضيق داخلها ولا تعلم السبب، كشف الطبيب عليها في غرفته بأدوات بسيطة، وأخبرته أنها مريضة بالسرطان، فقال لها:

– اعرف دكتورة هنا ممكن تعملك عملية ويبقي قدامك فرصة في العيش عشر سنين.

أومأت. توسلت إليه بدموعها، كم هي ممثلة، وكم هو طيب.

غادر الغرفة بسرعة واحضر إليها تلك الطبيبة، رأت حالتها، ملابسها مقطعة من الأسفل، وقد تعمدت فعل ذلك.

نظرت الطبيبة إليه تستعجله:

– روح هاتلي الأدوات، بسرعة يابني!.

أجرت صديقتي العملية في ساعة تقريباً، وتماثلت الموت أمامهم، استضعفت طويلاً، فتركوها لفترة بعد أن صدّقوا الخدعة، ولم تمر دقائق بعد خروج الأطباء من غرفتها وقد تسللت من خارجها وركضت في الممر، أسرعت نزولاً علي السلالم من الطابق الثاني إلي أن استطاعت أن تصل إلي البوابة وقد تجاوزت الأمن بسهولة،

ففرد الأمن يري حالات مزية كهذه كل يوم ولا يأبه لها، المهم أن تكون حاملاً لتذكرة دخول، وبالطبع بوسي اصطنعت واحدة، أو أنها رشت الأمن بقبلة!.

لم تعد تملك رحمها الآن، قد نُزع، وانتهي كل شيء.

ظننت ذلك أيضاً، لكنها لم تكف، بحثت عن جابر، فلم تستطيع الوصول إليه، أرادت أن تتعامل مع الأجانب، وبوسي ذكية للغاية، يكفي أنها تتحدث أربعة لغات بطلاقة، هذا جعلها تتحدث مع الأجانب في البارات وشوارع الزمالك، لكنها، كانت تختار الفتيات، لتقيم معهم علاقة غير كاملة في أركان البارات والشوارع المظلمة ليلاً.

لم يكن هذا من مخططاتها أو من اهتمامها، ولكنها لا تمانع بالتجربة. قبَّلت فتاة، وأعجبها ذلك، في البداية كانت تجرب، إلا أنها استمرت طويلاً فيه، وكانت تكسب الكثير من المال لأن الكثير يرفضون فعل ذلك فيما قد يحصلون علي المال والمتعة من الجنس الآخر.

بوسي تحب هذا الطريق من البداية، لا أتعجب مما اتجهت إليه إطلاقاً.

***

عندما انتهيت من ترتيب أغراض طارق بمنزله، كنت قد رتّبت له الأوراق ووضعت كل مجموعة مع بعضها ثم جمعتهم سوياً ورتبتهم فوق بعض، لأتركهم علي طاولته بالصالة حتى لا يأخذ وقت في البحث عنها.

اكتفيت بترتيب أغراضه، ولم أمانع بالرقص قليلاً في غرفته أثناء غيابه، تأكدت من أن الوقت لا يزال مبكراً علي مجيئه لأفعل ذلك، وقبل أن ارحل تذكرت تلك القطة الصغيرة، بحثت عنها في أرجاء الشقة إلي أن وقعت بين ذراعي، رفعتها من الأرض واحتضنتها، ثم عددت لها البيضة المسلوقة علي ورق

جرائد داخل المطبخ، كان هذا علي الساعة التاسعة، خرجت من منزله وأنا أشعر بالنشاط، كان ذهني يقظ للغاية وعندي استعداد للقيام بأعمال كثيرة، بالرغم من ذلك النشاط فقد ذهبت للبارات، جلست هنا إلي أن كانت الساعة السادسة صباحاً.

امتنعت عن شرب الكحوليات ليلتها ولرفضت أن أتلقي كأساً من أحد، لكن لا أنكر أنني جلست مع الزبائن المعتادين، نتبادل صيحات الضحك وكلام بذيء، فشعرت بحقارة وخجل من نفسي، ولا أعلم سبب ذلك، هل ربما أني اخترت أن أسير أخيراً في طريق آخر غير طريق الليل ولم احترم الوعد الذي وعدته لنفسي؟.

ليلة لطيفة، وكانت سهرة جيدة، رغم أنني وككل مرة، لم أضحك من القلب، اصطنع الزيف في ابتسامتي، وأكتم مشاعري بداخلي، لكن، كانت ليلة لطيفة، لم أتقيئ الطعام الذي تناولته، وكنت نشيطة، مقبلة علي الحياة، لازالت فيّ روح الشباب، علي أن أتمتع بها قبل أن تزول.

قبل مغادرتي من البار تناولت وجبتي اليومية، فأخرج من جيبي شريط حبوب منع الحمل، وبلعت منه واحدة مع رشفة مياه. بعدئذ أخذت حبوباً آخري معالجة من الاكتئاب. تلك الحبوب هي التي تجعلني علي قيد الحياة إلي يومنا هذا، وقد اعتدت علي هذا ولم يكن يشكل لي إزعاج.

طرقت باب شقة طارق، ففتح لي رجل طويل القامة يرتدي قميص ابيض وسروال جينز أزرق، تأملته من الأسفل للأعلى، ووقعت عيني في عينه، لم يبتسم، وإنما فتح الباب علي آخره ليسمح لي بالدخول.

تقدمت خطوات لأدخل الغرفة فيما كان صامتاً، أطال صمته لحين وضعت أغراضي من حقيبة وهاتف علي رخام المطبخ، بدا ذلك الصمت غير مطمئن.

حدقت إليه وقد رأي في عيني الارتباك.

تنهد، ثم أخرج بطاقتي من جيبه.

ضاقت أنفاسي فجأة، وخيّل لي أنني انتهيت.

اقترب نحوي ليعطيها إياها، فتناولتها من يده وأنا أترقب نظرات عينيه نحوي.

ضمّ حاجبيه الكثيفين، وسأل:

- أنتي في طب؟.

- أنت مش سألت؟.

أومأ برأسه وقد أشاح نظراته إلي الأوراق المجمعة علي طاولة الصالة، ورفع ذراعه مشيراً إليهم:

-أيوة سألت، لكن سألت إن مكنش في ملفك بلاغات أو قضايا، أنا عرفت أنك في طب من ترتيبك للورق.

نظرت له باستغراب:

- تقصد إيه؟.

-رتبتي كل مادة وكل موضوع لوحده، محطتيش أي حاجة مع أي حاجة، فده لفت نظري مش أكتر.

أخذت نفس عميق وزفرته بهدوء، لم ينكشف أمري بعد.

ابتسم وقد نظر إلي:

- أنتي في سنة كام؟ ده الامتحانات قربت.

رددت باصطناع:

- سنة رابعة، أه عارفة، مانا بذاكر.

- تمام، تمام. شدّي حيلك. أنتي إيه مستواكي في الدرجات و. .

قاطعته:

- كنت من أوائل الدفعة التلت سنين اللي فاتوا.

رفع حاجبيه وقال:

- كويس أوي، استمري علي كده عشان تتعيني معيدة بقي. طيب وناوية علي إيه؟.

- كنت بفكر في جراحة عيون، لكن دلوقتي بفكر في باطنة.

نظر لي بإستغراب:

- من جراحة لباطنة!؟.

كنت أعلم أنه سيسال هذا السؤال، فأجبت في برودة:

- آه. . .

- تمام، تمام. مش يالا نفطر؟.

كان له الحق أن يتعجب مما قلته، فقسم الباطنة الأسهل في الدراسة بالنسبة لكلية طب، والأصعب أقسام الجراحة، حتى أنها تتطلب تقديرات مرتفعة للغاية، وبالأساس كلية صعبة جداً، فالأمر كله مقعد للتفكير أنني سأذاكر في وقت قصير تلك المناهج وسأذهب لأمتحن.

طارق جعل تفكيري يتغير مساره فجأة، ارتبكت كثيراً، وبدأت أتعثر عن تحضيري للفطور.

فتحت باب الثلاجة وأطرقت النظر طويلاً داخله، وكنت أتساءل ماذا سنأكل؟ وماذا علي أن أفعل حيال ذلك؟.

قال من موضعه قرب المطبخ، حيث راح يجلس علي كرسي طويل يستند به علي رخام المطبخ الذي اتخذ شكل الديكور الأمريكي.

– ممكن تاخدي الفلامنك اللي عندك وتحطي معاها خس في ساندوتش، وشوية زيتون.

لففت رأسي من فوق كتفي لأنظر إليه.

هز كتفيه.

– ده لو متعرفيش التلاجة فيها إيه يعني.

– خلاص ماشي.

شعرت من كلامه أنه لاحظ علي الجهل في شئون الطعام، حتى وإن كان فطور، فبدا له أنني لا استطيع تحضير الطعام، وكنت لأتساءل ماذا يأكل في العادة؟.

كنت أعلم أين توجد الجبن والخضراوات، لكن تعمدت البحث مجدداً.

حضرت له سندوتش كبير ملئ بالجبن والخس، وقدمته له علي الرخام في طبق كبير يناسب حجم فطوره، ما إن شرع في تناوله، كنت قد استدرت لأشعل الموقد وأحضر القهوة من الرف العلوي بالمطبخ.

قلت:

– إيه رأيك أعملك قهوة من إيدي وإحنا بنتكلم في تفاهات الحياة؟.

بعد دقائق انتهي من الأكل وناولته فنجان القهوة أمامه، فيما أخذت حصتي من القهوة وبقيت داخل المطبخ، وهو من الناحية الأخرى ينظر لي.

سندت بذراعي علي الرخام وملت نحوه، وبدأت أطرح عليه أسئلة احتجت لإجاباتها.

- قولي، أنت ليك أخوات؟.

أومأ رأسه.

- آه، أربعة، إحنا خمس صبيان.

أذكر آخر مرة رأيتهم كانوا أربعة فقط.

عقدت حاجبي متسائلة:

- الخامس ده كان معاكم في العزا؟.
- لا، أحمد مرضناش نجيبه العزا، لسة صغير، وكان مرتبط بماما أوي.
- آه، هو صغير أوي كده؟.
- لسة في إبتدائي.
- أوكيه. . . طيب إيه؟.
- إيه؟.

ارتشفت رشفة صغيرة من القهوة، وعدت اسأله:

- بقية العيلة يعني؟.
- أنتي تعرفي حد فيهم؟.
- أعرف إسلام آه، بس هو صحيح بيشتغل فين؟.

كان الواضح من كلام طارق أنهم عائلة مفككة، وكل فرد فيهم استقل بعيداً عن الآخر بحياته الخاصة، ولا أعيب عليهم، بل أعيب علي التغير الزمني المفاجئ في بداية القرن الواحد والعشرون.

قطع صفوة حديثنا اتصال مفاجئ من هاتفه، وبدا أنه متوقع من ملامحه، فلم يتردد في الإجابة.

- ألو، أيوة يا كارلا خير؟.
- البنت جاتلك؟.
- أيوة عندي.

نظرت له بنصف عين، حاولت أن اسمع ما تقوله له، لكن الصوت كان منخفض للغاية.

ردت كارلا:

- طيب بقولك إيه أنا تحت البيت.

انتفض من كرسيه فجأة كأن صاعقة نزلت عليه.

- فين؟!.
- تحت البيت يا طارق، دقيقة وأطلع لك.

أغلقت المكالمة في وجه، ومن حين أن انهي المكالمة معه وهو بدأ يدور حول نفسه في الشقة.

تأملته في برود وأنا أتبع خطواته.

رشفت رشفة آخري من القهوة وسألته:

- في حاجة؟.

تسمر في مكانه للحظة وأطرق بالنظر إلي:

- بصي، أنا خطيبتي طالعة دلوقتي.
- طيب؟.

قلتها ببرود، فلم أهتم للأمر.

– بصي هي عصبية ومجنونة بس طيبة والله، لو عملت أي حاجة طنشي وأمسحيها فيا.

– أمسحها فيك إزاي يعني؟ هو إيه ده؟.

عندما سمعت هذا الكلام منه كان قد نشأ بيني وبينها عداوة من اللاشيء، بمجرد أن طرق الباب ودخلت، أخذت تنظر لي بقرف، كانت نظرات خفية وسريعة لم يلمحها طارق، نجحت في إشعالي غضباً، إلا أنني تعمدت البرود ولم أظهر شيء مما أشعر به.

جلست كارلا بجانبه علي أريكة الصالون، وراحت تمسك بيده وتدلّله في الكلام، كان سعيداً بذلك، لكنها بالغت حتى بدا الأمر واضحاً للغاية، وكنت في مكاني بالمطبخ واقفة أشاهدها وهي تفعل ذلك ولم أخلع أنظاري من عليها.

ابتسمت في سخرية، ابتسامة لن تدرك معناها.

أعدت بداخلي مواقف المومس عندما كانوا يتشاجرون علي الزبون الخليجي والأجنبي، فكنت أقف أشاهدهم من بعيد وهم يحاولون إغاظتي، وقد نجحوا في ذلك، لكني لا أكنْ بداخلي أيّة مشاعر ناحية هذا الرجل، يكفي أنه رائحته كرائحة كريم.

في ذلك اليوم، بعدها بساعات، أمسكت يده وهمّا بالرحيل من المنزل إلي طريقهما للمستشفي، كانت الساعة الحادية عشر وقتها، وطارق أخبرني أن عليه أن يكون في المستشفي من الساعة الثالثة بعد الظهر، فلم أعلم إلي أين أخذته تلك الفترة، إلا أن هذا كان أفضل لي كثيراً، رحت أفرد جسدي في الغرفة المجاورة لغرفته، كنت حينها أشعر بالإرهاق ولم أنم منذ الأمس، ولم أشعر بالوقت، فقد

غبت لساعات طويلة في النوم، واستيقظت علي صوت طرق قوي قدام من باب الغرفة.

كان ذلك طارق، استمر في الطرق كثيراً علي الباب إلا أن فتحت عيني وبدأت أشعر أن هذا الطرق ليس في رأسي وإنما علي باب الغرفة، فنهضت من السرير بعجز، ولم أملك مشاعر الليلة السابقة من إيجابية وطاقة.

سرت لباب الغرفة بتكاسل، وفتحته بالمفتاح، تعمدت إغلاقه زيادة في الأمان. عندما فتحته تأملني للحظة، كنت أشعر بالنعاس ولم أدرك كيف كان منظري، ألتفت إلي التنورة التي كنت ارتديها، وأظهرت قسمة صدري.

بالنسبة لي كان ذلك طبيعياً، أو ما اعتدت رداؤه، بل في الأيام العادية أرتدي ملابس أقل احتشاماً من ذلك.

أشاح بنظره وحاول أن يسمّر أنظاره في وجهي.

- أنتي إيه اللي مخليكي هنا لحد دلوقتي؟.

همست:

- هي الساعة كام؟.
- الساعة اتناشر! بعدين إيه اللي منيمك كده؟ وإيه اللبس ده؟.

خفضت ببصري ونظرت لملابسي، ثم عدت انظر إليه:

- في إيه!.

***

يبدو أن الوقت سيطول ومفعول الدواء تأخر عن ميعاده، فكريم أمامي يبدو طبيعي جداً ولم تظهر عليه تأثيرات الدواء بعد.

احتجت إلي استنشاق دخان سجائر، فأخذت أبحث عن علبة بجيبي، وأخرجت منها سيجار، ثم دفست طرفها بين شفتي. سرعان ما أشعلتها وتابعت كلامي معه.

- بدأ يلاحظ عليا سلوكيات غريبة.

- زي أنك فضلتي في بيته.

بعدت بنظري بعيداً وأومأت:

-حاجات كتير. . . زي اللبس، الضحك، المشي، حوار المشي ده. . كنت مرة ماشية عادي في الشقة زي عادتي، لقيته قاعد بيبص علي رجلي، قام شاورلي وقالي اقفي كده، فبصيت له، واستغربت عايز إيه ده، قالي امشي كده علي خط مستقيم. . . قمت بصيت له وأنا مش فاهمة، هو عايز إيه برده، قالي ابس امشي، قمت رحت امشي علي خط مستقيم، وكنت بتلجلج كده ومش عارفة اتوازن، فبص لي وسألني أنتي اشتكيتي قبل كده من حاجة في الأعصاب؟ قلتله لأ، ليه؟ قالي أعملي كشف رنين في الجامعة شكل عندك حاجة.

رفع كريم حاجبيه متسائلاً:

- وكان عندك حاجة فعلاً؟.

-آه، أنا مكنتش درست طب الأعصاب لأنه في آخر سنين طب، سنة ساتة وسابعة، فمكنتش أعرف حاجة، قلت أما أروح من وراه كليتي وأعمل كشف، وبعديها بيوم خت التقرير، وقريت فمفهمتش حاجة، خليت دكتور تاني غيره يقرالي قالي في مشكلة في المخ عندك سببها الكحوليات وبتاع ودي مأثرة علي المخ عندك ومن أعراضها عدم التوازن، كلام كتير كده.

-طيب وأنتي دلوقتي؟.

نظرت نحوه وابتسمت:

- دلوقتي زاد.

أطرق الصمت للحظة، ثم سألني:

- هو إزاي مسألكيش انتي في طب وبتشتغلي عنده؟ يعني مش غريبة!؟.

أومأت وأنا أوافقه الرأي:

- غريبة طبعاً، عادي فهمته أني يتيمة.

زمّ شفتيه بإنزعاج، فابتسمت أغيظه.

- إزاي حصل ما بينكم حب؟ طارق كان خاطب وقتها، وبيحب كارلا.

رفعت حاجبي في دهشة:

- بيحبها؟ قول بيموت فيها، هو حد يشوف اللي بتعمله كارلا في الناس ده ويحبها؟!.

- طيب ما أنتي عارفة أهو.

هززت كتفي ورسمت ابتسامة باردة:

- أنا لما أعوز حاجة، هجيبها.

***

بعد قضائي يومين في بيت طارق، والسبب أنني عجزت عن التوافق بين مواعيد البارات ومواعيد العمل في منزله، ولم يعد لي منزل أبيت فيه، فقلت له علي ظروفي، وكان متفهماً، واتفق معي أن أبيت في الغرفة المجاورة وأن أنظم مواعيد نومي مع الوقت الذي يتواجد فيه في الشقة، أي أنه يريد ألا نتقابل سوي الصباح، أضاف إلي هذا الاتفاق بألا أخبر خطيبته، وأكدت له أن هذا لن يحدث.

في ليالي المنتصف من ديسمبر كان الجو شديد البرودة، وكانت الحرارة خمس درجات مئوية، فأخذت أجلس علي السرير في غرفتي، أو ما أسميتها بذلك، ورفعت ساقي لأضمهما إلي، لكن دون جدوى، جسمي كان يرتعش للغاية وأسناني تصطك ببعضها، وكان طارق في ذلك الوقت يجلس بالصالة يرتدي ملابس ثقيلة ويجلس أمام مجموعة هائلة من الورق بانتظار من يفهمها.

سحبت الغطاء من جانبي ووضعته فوقي، غططت رأسي وكل جسدي حتى أصبحت من الخارج أشبه بالخيمة.

كان يذاكر بالخارج ولم يشعر بى إلا مؤخراً، وهو في طريقه للنوم طرق باب غرفتي، فأخرجت رأسي من تحت الغطاء ولم أكن قد تغيرت من وضعية الجلوس هذه.

- ايوة ادخل.

فتح الباب ببطء وأخرج رأسه من وراءه، وقعت عينيه عليه فأصدر ضحكة قصيرة:

- إيه اللي عملاه في نفسك ده يا صندوق؟.

ضحكت بخفة، ثم قلت:

- الجو برد أوي.

- طب ما كنتي تقوليلي أجيبلك الدفاية من عندي!.

- مش عايزة اتعبك.

أختفي فجأة من وراء الباب وهو يقول:

- تعب إيه وبتاع، استني.

راح ليأتي بمدفأة من غرفته كان يضعها تحت سريره، ما إن حملها في يده دخل بها علي غرفتي، ووضعها جانب الباب علي الأرض وقام بتوصيلها بالكهرباء، ثم قال:

– يا رب بس تشتغل عشان من آخر مرة أنا فاكر أنها كانت بايظة واشتريت واحدة غيرها.

بقيت صامتة، راقبته من تحت الغطاء وهو ينتظر من المدفأة أن تعمل، وسرعان ما كانت تضيء ضوءاً حراري يعمل علي تسخين الهواء، فإبتسم ونظر إلي:

– لو احتجي حاجة تاني قوليلي.

أومأت:

– شكراً، تصبح علي خير.

– وأنتي من أهله.

أوصد الباب خلفه، وخلدت للنوم، لكن لم يكن ذلك سهلاً، رافقني أفكاراً خارجة عن الحدود. هذا يحدث معي في كثير من الأحيان، ولا يستمر سوي دقائق، ثم أغطس في النوم حتى أغرق في نوبة عميقة، إلا أن هذه المرة كنت أتخيله معي، نتعانق بشغف حتى الموت.

في تساؤل راودني، لِمَ يوافق رجل مثله علي جلوس فتاة مثلي بشقته؟ إلا وإن كان يشعر بشيء ما نحوها. لِمَ لا؟ فأنا فاتنة الملامح وجسدي صارخ الأنوثة.

شعرت به إذا يلامس جلدي بحرارة وأطراف أصابعه تداعب عنقي، ملكتني النشوة وأشعلت في أطرافي، كان جسدي يحترق ويرتوي منه في آنٍ واحد.

كان يريد عناقها هو الآخر من البداية، بعد أن ظنت أنه فاقد الحس بها ولا يري سوي خطيبته.

فتحت عيني بتعب، وعندما نظرت حولي وشعرت بالغطاء فوقي، أيقنت أنني كنت غارقة في أحلام اليقظة. انزعجت من نفسي، وقمت في الصباح أخلع ملابسي التي أصبحت رطبة ذلك المساء.

رميتها بعيداً علي الأرض، ورحت أبدأ يومي مع طارق بحديث قصير في المطبخ أثناء تناولنا فنجانين من القهوة. جاءت كارلا كالعادة كل صباح لتري هل خطيبها يخونها أم لا، فلا تجد شيئاً، ومع ذلك تتعمد بأن تصطحبه كل صباح في مكان ما قبل ذهابهم للمستشفي.

حلَّ المساء، وتعددت المشاهد الجنسية في مخيلتي معه، حتى شردت عن الواقع تماماً وغبت في النوم، مرت ثلاث أيام، مع بداية اليوم الأول منهم، تقلبت بشدة في السرير، وهو بالخارج لا يحس بذلك، ممسكاً بأوراق المذاكرة ولا تمر عينيه ناحية غرفتي إلا قبل أن ينام، فألتزم الهدوء وأرسم ابتسامة صغيرة تخفي دموعاً بداخلي.

- مش عايزة حاجة؟.
- لا، نام أنت، تصبح علي خير.
- ماشي، وأنتي من أهله.

في اليوم الثاني، كانت الساعة الحادية عشر، أقترب ميعاد نومه، لكنه لا يزال يذاكر علي الأريكة، تركت سريري وقمت منه لأجلس بجانبه، فاتسعت الأريكة لكلينا، أزاح بعض الورق من جانبه ووضعه في الناحية الأخرى من الأريكة لأجلس.

ابتسم في لطف:

- تعالي اقعدي.

جلست وأنا أشعر بالسعادة، لكن سرعان ما أنطفا هذا الإحساس عندما جاءه اتصال من كارلا.

استأذنني، فأومأت رأسي، ونظرت بقرف إلي التلفاز أمامي.

تمتم:

- أيوة يا حبيبتي.

لفظ حبيبتي جعلني انظر له بغضب، وزادني حقداً لكارلا.

ألتف طارق نحوي وهو يمسك الهاتف علي أذنه:

- بتسلم عليكي.

رمقته بنظرة وعدت أشاهد التلفاز كأنه لم يقول شيء.

ضم حاجبيه بإستغراب، واعتدل في جلسته ثم تابع المكالمة:

- بتسلم عليكي هي كمان، بس هي مروحة دلوقتي.

مرت نصف ساعة وهو يتحدث معها، كنت أحترق من الغضب، لكن بدوت طبيعية، وتابعت مشاهدة التلفاز، ورحت أتخيل وأنا أميل عليه لأقبّله فيذوب بين ذراعي ويترك الهاتف من يده، إلا أن الواقع أنني بقيت أشاهد الإعلانات.

في اليوم الثالث لم أتحمل أن استمر بهذا الشكل، عندما اصطحبته كارلا في الصباح وتأكدت أنها أغلقت باب الشقة خلفها جيداً، ركضت بخفة إلي غرفتي، وأمسكت بالمدفأة فثنيت أسلاكها بشدة، ثم وضعت الموصل في الكهرباء، وجدت أنها لا تزال تعمل، رجعت اثني الأسلاك بكل ما أوتيت من قوة، فوقفت علي

طرف السلك ورفعته لأعلي بينما كان تحت قدامي، ثم نزعته من تحتي، وعدت أضع الموصل في الكهرباء، ورأيت أنها لا تعمل.

رجع طارق علي الساعة التاسعة، وانتظرت إلي أن اقتربت من منتصف الليل، جلست جانبه علي الأريكة، وراقبته وهو يذاكر، لمع بريق في عيني، وكنت مستمتعة بصمته.

رفع رأسه ونظر لي مرتسماً ابتسامة:

- إيه؟.

عضضت علي شفتي:

- شكلك حلو وأنت بتذاكر.

ضحك ضحكة صغيرة باستهزاء، ثم سألني:

- مش بشوفك تذاكري ليه أنتي كمان؟.

- مش عارفة. . . أنا بفكر أسيب الكلية.

- بجد؟ وهتشتغلي إيه؟.

- ما مش عارفة برده.

ابتسم وتوقف عن الحديث، ثم عاد للمذاكرة، بدا أنه لم يبالي لأمري، لكن لم أهتم.

تمتمت قربه:

- طارق الدفاية باظت، صحيت النهاردة لقيت السلك متني.

- متني؟ إيه اتحرق منها ولا إيه؟.

هززت كتفي:

- مش عارفة، خش شوفها.

- طيب هقوم.

بالفعل نهض سريعاً وراح يتفقد المدفأة فرأي أنها لا تعمل، نظرت له من الصالة وسألته:

- إيه النظام؟.
- مش شغالة، عايز أجيب واحدة تانية.
- بس الدنيا ساقعة أوي، هنام فين؟.

سار نحوي في بطء وهو يفكّر، وراح يقترح علي:

- بصي أنا تمام عندي أنام من غيرها، خديها أنتي عادي.

ليس هذا ما أردته.

صمت قليلاً قبل أن أرد.

- طيب.

جلس علي الكرسي وشد ناحيته ورقة ليتابع مذاكرة، فرحت اسأله:

- صحيح هو إسلام أخوك شغال فين؟.

ألتفت لي بإهتمام:

- اشمعنة؟.
- عادي بسأل يعني.
- شغال في محل ديكورات في سيتي ستارز.
- أها. . . أوكي.

نهضت من مكاني وربت علي ظهره:

- أنا رايحة أنام طيب.

قال دون أن يلتفت إلي:

- ماشي.

دخلت لغرفته وأخذت المدفأة الخاصة به، وكنت قد أحبطت خطتي، فتوقعت أن تكون ليلة عادية كسابقها، إلا أن دخلت غرفتي، وكنت أغلق الباب خلفي، سمعت صوت هاتفه يرن بنغمة خاصة أختارها لكارلا ليرد عليها في أي وقت.

- إيه يا حبيبتي.

نظرت له من خلف الباب، وقد غضبت، فأوصدت الباب بقوة ليصدر صوتاً قوياً يسمعه.

ألتفت إلي بانتباه، ثم قال في الهاتف:

- لا أبداً ده الهوا اللي قفل الباب.

بعد أن انهي مكالمته في نصف ساعة طرق علي باب الغرفة فسمحت ل بأن يدخل، رآني لازلت جالسة ونور الغرفة مضيء، فسألني:

- عايزة حاجة؟.

- لا تمام.

- ماشي.

أوصد الباب وراءه ودخل لغرفته، نام هو في هدوء فيما انزعجت أنا بخيالاتي المريضة.

يهدف عالم الليل للربح، كعالم التجارة، وعالم التجارة دائماً ما يعتمد في تسويقه علي الغرائز والرغبات، كالطعام والشراب، كلها غريزة بإنسان، فبالتأكيد ستحتاج وقتاً ما لأن تأكل، لذا يقوم المسوقين بتسويق منتج لك متعلق بنوع جديد من الطعام بنكهة مختلفة لتشتريها حتى وإن كانت غير ضرورية، لكن هذه

طريقة ربحهم، نفس الشيء في عالم الليل، تسوّق الفتيات علي حسب الغريزة الحيوانية، ألا وهي الجنس. في الواقع الأكل والشرب غريزة حيوانية أيضاً، ولكن الجنس يرتقي إلي العلاقة الحميمة والقرب، فيما يبقي الأكل والشرب كما هو، نأكل كالحيوانات ونشرب مثلهم. هناك البعض من الناس يمارسون الجنس كالحيوانات أيضاً لإشباع الغريزة، وليس للمتعة كما يظنون.

اعتمدت الأسطوانات التي سجلتها لنفسي علي هذا الأساس، ولدي الكثير من الصور والفيديوهات علي هاتفي. حسناً، احتفظ بها لغاية معرفة الممارسة، فأنا لم أكن أقابل رجل إلا وشاهد البورنوغرافيا، أي إنه يريد ممارسة هذا النوع أيضاً من الجنس فكان علي أن أشاهده، ولكن الواقع، فهذه الأفلام مصوره باحترافية لا تطابق الواقع إطلاقاً، لهذا هي تثير إعجاب المشاهدين وتكسب الكثير من الربح، حتى الإعلانات التي تعرض مشهد جنسي أو عري، أو مقطوعات الأغاني، يلتفت إليها الكثير لذلك السبب، أنها توقظ الغرائز المكبوتة بداخلهم، وقد يزيد ذلك من التحرش والاغتصاب، بيدوفيليا، نيكروفيليا، زوفيليا، وفيما معناهم الشذوذ والسلوك الجنسية الغريبة، كالممارسة مع الجثث والحيوانات، وسبب ذلك أن الأفلام تغير مناطق في المخ، لعل هذا السبب الذي أفقدني توازني وأحدث خللاً بالمخ، جعلني أمارس العادات السيئة سراً.

حاولت منع نفسي من التقرب إليه، حاولت كثيراً، وكانت تمر الليلة تتبعها الأخرى وأنا أكتم ذلك بداخلي، لكن تفجرت مشاعري بداخلي، ولم أستطيع مقاومة غريزتي، فنهضت من سريري، وسرت علي أطراف أصابعي متجه لغرفته. فتحت باب غرفته ببطء شديد، ثم أدخلت رأسي من وراء لأجده نائماً، لم أتردد بالدخول، تسحبت ناحيته ورفعت الغطاء من الناحية الأخرى ونمت علي طرف

السرير، كانت هناك مسافة تفصل بيننا، لكنني لم أرد التقرب أكثر من ذلك حتى لا أرتكب خطأً فادحاً فيه وفي.

في صباح اليوم التالي، استيقظ ليجد امرأة نائمة بجانبه، فأنتفض من السرير فزعاً وحدق إلي، فيما فتحت عيني وحاولت أن أبصره إلا أنني شعرت بالنعاس.

- أنتي إيه اللي جابك هنا؟.

نظرت له بإستغراب:

- أنت مجنون!؟.

- مجنون إيه! اللي جابك هنا!!.

سندت بيدي علي السرير وأنا اعتدل في مكاني:

- لا ده أنت بتنسي كمان.

- بنسي إيه يا بنتي أنا مش فاهم، هو حصل إيه!.

شعرت بداخلي بسعادة للحظة، وقد نجحت في أن أجعل أفكاره تتجه للإيباحية.

- أنت قولتلي تعالي نامي جنبي لو الدفاية باظت، عشان أوضتك مش بحري.

أشار علي نفسه في ذهول:

- أنا؟؟.

- أنا هتبلي عليك ليه؟.

- طب قومي، قومي اعمليلي حاجة اطفحها، وهتصرف وأجيبلك واحدة.

رنّ هاتفه فجأة، ما إن سمع النغمة المعتادة صاح فيّ:

- الله يخربيتك، امشي من جنبي دي طالعة.

ابتعدت عنه وعن الغرفة كلياً، ورحت أحضر له الفطور، فتحت علبة تونة كانت في الرف الأول من الثلاجة وهي ما رأيته أول شيء، لم يكن لدي النفسية لكي أفعل له شيء، ففتحتها وألقيت كل ما فيها في صحن غويط دون أن أفرّغ الزيت منها أو أضع عليها أي شيء.

راقبته وهو يخرج من الحمام بعد أن غسل وجه وعلّق:

-الحمام عايز يتنضف، والشقة متكنستش من يومين، وبصي.. بصي نتيجة إهمالك؟ أصحي ألاقي ورق كتاب الneurosurgery مزيّت من البقصمات اللي كنتي بتاكليه امبارح، حد يعمل كده!!! أمال لو مكنتيش متعلمة وعارفة أن الكتب دي مهمة!!.

ألتف يميناً ويساراً وهو يمسك برأسه، بدا أنه مضغوط من شيء ما لم يخبرني إياه، راح يصرخ ويعلو بالصوت، نظرت له بدهشة لكن لم أكترث له، ألقيت بالصحن أمامه علي الطاولة وراح يشد كرسي وجلس عليه، بمجرد أن نظر للطعام زادت الطين بلاء.

نظر إلي فيما كنت جالسة علي الأريكة أداعب قطته بجانبي، فصاح في غضب:

- إيه ده؟ ده الطفح اللي هطفحه علي الصبح؟.

أمسك بالطبق ورماه بعيداً ليعمل بقعة زيت بالأرض فوقها قطع التونة، والمطلوب مني أن أصمت وأنظف مكان هذا الطفل البالغ.

للوهلة الأولي ظننت أن كل هذا بسبب الضغوطات، لكن تغيرت فكرتي، وجاءت كارلا للمنزل، سلّمت عليه فهدأ فجأة.

تأملته، ثم سألته وفي عينيها قلق:

- مالك يا طارق؟.

- مفيش.

- ده بجد؟.

-أنا كويس والله يا كارلا، إمبارح بس في مسائل كانت واقفة قدامي ومذاكرتش حاجة.

-طب ممكن نقعد دلوقتي مع بعض نحلها عادي، أنا خت الحاجات دي السنة اللي فاتت، فكله تمام.

-ماشي، هخلي بس سارة تعملنا الفطار ونذاكر.

نظرت لي من خلف طارق:

- سارة!.

كنت في مكاني وألعب مع القطة بأصابعي، وتلك العقربة تحدق لي، كأنها تتآمر علي.

تابعت جملتها:

-هي سارة لحد دلوقتي معملتلكش الأكل؟! دي الساعة داخلة علي عشرة!.

تنهدت للحظة، شعرت أنها ستبدأ في إحداث مشكلة وتصرخ وتغضب كعادتها وأنا لا أتحمل ذلك طويلاً، يكفي ما سمعته علي الصباح من طارق.

اقترحت عليه:

- ما تيجي ننزل للكافيه اللي بنروحه كل يوم؟.

هز رأسه وقال:

- لا معلش يا كارلا، كفاية كافيهات أنا محتاج فلوس عشان الكتب.

ضحكت بصوت واضح لكنني غططت بيدي علي فمي، فنظرت لي نظرة حقد ألهب الشرار في عينيها.

أضاف طارق وهو يربت علي يديها ويبتسم في لطف:

- بعدين يا حبيبتي متنسيش أن فرحنا قرب خلاص، ليلة راس السنة، وهعزمك وأخرجك وأعملك اللي أنتي عيزاه.

فتحت فمي وقد علق الكلام علي لساني، وراحت كارلا تبتسم لي كأنها تتعمد غيظي.

- بكرة إن شاء الله هقابل بباكي ومامتك نقرا فاتحة.

كتمت بداخلي شعور الغيرة، لكني لم أتحمل نظراته لها، حاولت قدر الإمكان أن أتجنب النظر إليه فلم أستطيع.

عينيه ألتمعت بشدة وبدا فيهما بريق، ازداد غضبي عن حدّه ولم أستطع تمالك أعصابي، لكن ما باليد حيلة، فالفتاة معجبة به وهو علي وشك أن يتزوجها.

أي فاتحة هذه بعد الخطوبة؟ هناك سوء تفاهم بالموضوع كله.

كان طارق قلقاً بشان أنه استيقظ ورآني جانبه، بدا أنه لا يجيد التصرف في تلك المواقف، ويتعجب عندما لا أصدر أي ردّة فعل إذا رآني ارتدي سروالاً قصير، أو أقوم بتغير ملابسي وباب الغرفة مفتوح، فقد أجده يصرخ وينهي عن فعل ذلك، لكن أعود لأكرر هذا عن دون قصد، ولم أقصد أن ألفت انتباهه، لكني اعتدت فعل ذلك.

بقيت جالسة في مكاني ألعب مع القطة، مر طارق من أمامي وقال:

- سارة أعملي لنا الفطار، ونضفي اللي أنتي رمتيه علي الأرض ده.

الجملة الأخيرة التي قالها كانت تحمل رسالة، لقد فهم أنني تسللت إلي غرفته وادعيت عليه ما لم يقوله، فأحب أن يردها بالمثل كي أفهم، بالرغم من ذلك عاندت، وبقيت في مكاني للحظات قبل أن أقوم وأحضر لهم السم، أقصد الطفح.

نظفت مكانه بإرادتي، كان من الممكن أن أتركه هكذا طويلاً، ولكنني تعمدت التخلص من تلك الفوضى لأني كنت أخطط لشيء آخر أفعله لبقية اليوم.

انتهيت من المسح الأرض قربهما حيث كانا يجلسان علي طاولة الصالة يذاكرون، سمعت كلام كثير لم أفهمه، ووقع علي أذني غرابة السمع، تغيرت ملامحي للدهشة، ورأيت كارلا تضحك علي ذلك، فلما كان يسألها تقول لا شي.

اقتربت من الواحدة بعد الظهر، نهضا من كرسيهما واستدار طارق نحوي ليقول:

- سارة إحنا نازلين للمستشفي بقي، اعملي اللي قولتلك عليه الصبح، تمام؟.

- لا أنا جاية معاكم.

أشاحت لي كارلا بيدها:

- جاية فين!؟.

حدقت إليها، ورددت في برود:

- المستشفي.

أمسك طارق بيد كارلا وخفضها جانبها ثم قال:

- حبيبتي، سارة بتدرس طب معانا.

نظرت إليه وأشارت نحوي:

- دي!! في طب!؟ أنت عبيط يا طارق؟!.
- جرا إيه يا كارلا، ميصحش كده.
- كارلا إيه ونيلة إيه، دي في طب إزاااي!؟.

ثم إلتفتت إلي، وسألتني:

- تعرفي الMS ؟!.

أحدي أمراض الأعصاب الذي لم يعرف له سبب حتى الآن.

رد طارق عليها:

- كارلا! هي لسة في رابعة.

قالت بغضب:

-طارق بقولك إيه أنا مش هاخد حد معايا وأنا نازلة، تشوف لها حد يوصلها، بلا مرقعة.

- ميصحش كده يا كارلا!.
- إيه اللي ميصحش! أنت أتجننت؟ إيش حال كمان كام يوم وأبقي مراتك.

زم شفتيه وتنهد.

- طيب.

نظر طارق إلي، وأخذ يقترب مني، ثم أخرج خمسون جنيه من جيبه وأعطاها إلي، ثم تمتم قربي:

- خدي دول اركبي بيهم مواصلات، وحاولي ترجعي بدري، اتفقنا؟.

نظرت إليه بعيني فارغتين، كيف لها أن تسيطر عليه بهذا الشكل!!.

قال آسفاً:

- معلش، قولتلك أمسحيها فيا.

أخذت النقود منه وغادرت الشقة قبلهم، أخذت مواصلات دون سيارات الأجرة وذهبت لسيتي ستارز، بحث في كل الطوابق عن محلات الديكور، فعلمت أنها بالطوابق الأولي وفي منها قسم آخر بالطوابق الأخيرة، قصدت أن اذهب لمحل إسلام، فوجدته في الطوابق الأولي، كان جالساً علي مكتب عريض، خيل لي أنه مدير الفرع من فخامة مكتبه، كان المحل واسع للغاية وضم قطع أثاث كبيرة الحجم وكانت تناسب الموضة وقتها، دنوت نحوه، وجلست علي كرسي من الكراسي الموضوعة أمام مكتبه، فمال للأمام واستند بذراعيه علي المكتب مبتسماً:

- أهلاً وسهلاً. . .

أخذني هذا الشخص بوجه الفاتن وشعره الرمادي.

ارتبكت.

-أنا. . . كنت بفكر أجهز شقتي، فعايزة أغير الديكور بتاعها وأشتريلها أوضة وكده.

- كويس.

ثم اشار بيده لأحدي الموظفين في المحل:

- أشرف، تعالي شوف الأستاذة.

فتحت فمي للحظة، ظننت أنه سينهض من مكانه ويريني المحل بنفسه، لكن بدا أنه لن يتحرك من مكانه إلا عند الضرورة، فرحت مع أشرف الموظف

الذي كلفه بمرافقتي في المحل، جعلني أعرف أسعار ومقاسات كل قطعة في المحل حتى اختنقت من الملل، كلا لم آت لأشتري من الأساس، اتركني!.

أشرف كان مسوق ممتاز لكنني مللت منه ورحلت من المحل دون أن اشتري شيئاً، رجعت لمنزل طارق، كانت الساعة التاسعة وهو لا يزال بالخارج، رتبت أغراضه في نظام كأول يوم عملت فيه، وحضّرت الغداء له.

ذكرت صوت كارلا الرفيع وعوجت عليه وأنا اطهي الطعام، قلت بصوت رفيع محاولة بأن أقلدها:

- دي في طب.

ثم تابعت بصوتي:

- آه في طب يا روح أمك، ده إيه ده.

عاد طارق من المستشفي وكان متهالكاً هذه المرة، أخبرني أنه يشعر بصداع وكانت كارلا طلبت منه أن يلغوا حضورهم هذا اليوم ويخرجوا لمكان رومانسي، فسألته:

- طيب والأكل؟.

هز رأسه نافياً:

- لا مش قادر والله، كلت مع كارلا لما قلت يا بس.

- ممم، أوكي، شوف هتذاكر ولا إيه.

نفي ذلك أيضاً وارتمي علي الأريكة قائلاً:

- لا مذاكرة إيه ما كارلا لمت لي الجزء الصعب النهاردة الصبح.

أردت إخباره أن يكف عن قول اسمها كثيراً.

- طيب هتنام؟.

– مش قبل ما أشوف فيلم علي الmbc جاي دلوقتي، كارلا قالتلي إنها بتحبه وهتتفرج عليه.

– فيلم إيه دلوقتي! في ماتش شغال والأهلي بيتغلب.

ضحك ساخراً وأخذ جهاز التحكم من الطاولة أمامه:

– يا ستي. . . هتفرج علي الفيلم بعدين أنام.

ثم نظر إلي:

– تعالي اقعدي اتفرجي لو عايزة.

هززت رأسي، وسألته:

– لأ.. فين الدفاية؟.

عبس، وضرب بيده علي جبهة رأسه.

– يا خبر نسيت!.

– لا واضح أن دماغك أتلحست.

– هههه، تعالي اقعدي وفكي كده، أنا آسف بجد للي حصل الصبح.

جلست بجانبه، ولم أمانع لما حدث صباح اليوم، كذلك لم أهتم إن كان نسي المدفأة.

أضاف:

– أنا هنام هنا، وانتي ممكن تنامي في أوضتي علي ما أجيب لك واحدة.

الوضع يزداد سوءاً معي.

ابتسمت بصعوبة:

– اتفقنا.

اتسعت عينيه فجأة ورأيته ينهض من الأريكة، فتعثرت في جلستي ونظرت إليه في فزع:

- في إيه!؟.

- افتكرت حاجة كنت عايز أوريهالك.

تأملته من الأعلى للأسفل:

- حاجة إيه؟.

تابعته وهو يتجه إلي الصالون، كان مسرعاً في خطواته وكأنه يريد اللحاق بشيء ما، فوجدته يقف أمام أريكة وينزع أثاث الأريكة من فوقها ليأتي بكيس كبير من داخلها، بدا ثقيلاًن فقد أحتاج لذراعيه القويين ليحملهما.

سألته:

- إيه ده؟.

انتقل من الصالون إلي الجزء الآخر من الصالة ناحيتي، واتخذ مجلس بجانبي، ثم وضع الكيس علي الطاولة في حذر، فرفعت حاجبي:

- خد بالك.

- لا متقلقيش.

ظننت أن بهذا الكيس مفاجئة، فوجئت به غذ يخرج لي كتب طب، فحدقت غليه متساءلة:

- دول كتب طب.

- دي كتب سنة رابعة.

أخذ يقلب في إحداهم في سرعة وهو يتابع:

- بفضل محتفظ بيهم.

- طيب يا طارق؟.

قرّب إلي كتاب ووضعه علي حجري:

- أنتي امتحاناتك قربت، وأنا عايزك تشدي حيلك كده.

هززت رأسي وحاولت استيعاب ذلك، يا له من شخص طيب.

- طارق. . . أنت ليه بتعمل كده؟.

- بعمل كده إزاي؟.

- يعني بتساعدني.

- إيه المشكلة يا سارة؟.

- المشكلة أنك حلو أوي يا طارق، بزيادة.

نظر إلي باستغراب، فلم يفهم ما قلته للتو، وكأنه أعتاد علي مساعدة الناس فيتلقي الشكر منهم وفقط.

ملت نحوه واقتربت من وجه، شعرت بأنفاسه الدافئة وهي تلفح وجهي، لكني قاومت، وأبيت فعل ذلك، ليس لأجله أو لأنه مرتبط رسمياً بامرأة، ولكن، كنت سأضره أشد الضرر.

تنفست ونهضت من الأريكة في ضيق شديد، هذه المرة الأولي التي أشعر فيها بانزعاج من نفسي ومن حياتي ومما أفعله، طارق كان شخصاً طيب وجميل من الداخل، لا أريد أن أؤذيه وألحق الضرر به كما فعل والدي بى.

رأيت الاستحياء في عينيه مما فعلته، فعبست وكنت في أشد الغضب من نفسي.

بلع ريقه وأطرق النظر في الأرض:

- سارة، أنا قريب وهتجوز. . . إيه اللي بتعمليه ده؟.

هززت رأسي ورحت اتجه لغرفتي:

- متفتحش الموضوع لو سمحت.

زمّ شفتيه، فيما دخلت الغرفة وأقفلت الباب خلفي في عصبية، وراح هو يشاهد التلفاز ويتحدث مع حبيبته بالهاتف عن الفيلم الذي شاهده للتو.

كنت أموت بجانبه كل ليلة، لا أعلم كيف اجتاحتني تلك المشاعر تجاه.

أكان هذا حب؟

لا. . . لا نسميه حب، ولكن، هشاشة القلب تجعلك تتشبث بأي شخص.

مؤلمة هذه الحقيقة عندما عرفتها، وعلمت أن الحب يأتي بعد أربعة شهور من العلاقة، وقبل ذلك يسمي إعجاب، لكن ما كنت أحسه ناحية طارق فهو عنيف للغاية ولم أستطيع السيطرة عليه أو فهمه.

كيف لأن يكون هذا الشعور مجرد إعجاب؟.

بالتأكيد، فالفراغ العاطفي الذي تركه لكي والدك جعلك تتشبثين بالرجال سريعاً، أصبحت مشاعرك عنيفة للغاية، وأمثالك لا يستطيع الوصول إلي مرحلة البرود إلا بالعلاج النفسي، قد يستغرق هذا سنين، قد يستغرق عمرك كله، وقد تموتين هكذا. . . دائماً ما تحتاج الفتاة إلي والدها بجانبها في طفولتها، حسب نوع الشخصية، قد تتأثرين بقوة، قد يحدث لكي اضطراب عقلي، أو يلازمك الاكتئاب. . . أنتِ تعيسة في حياتك يا سارة، وقد يأس الطب النفسي من علاجك.

تأملته من وراء باب غرفتي، كان نائماً علي أريكته، فخرجت من غرفتي بهدوء، وسحبت خلفي غطاء، لامس الأرض ولم أكترث.

جلست بجانبه واكتفيت بالمساحة الصغيرة التي تركها من الأريكة لأجلس عليها، شعرت بالسعادة قربه، لم أمانع بلمس يديه بأطراف أصابعي.

رفعت ساقي من علي الأرض وثنيت ركبتي لأضمهما إلي، ثم رفعت الغطاء لأغطي به جسدي. في ذلك الوقت من ديسمبر كان الشتاء شديد البرودة عن ذي قبل، هبت نسمة هواء باردة جعلتني أرتعش في مكاني، ولم يكن للغطاء أي تأثير علي.

بقيت أحدّق إليه، طويلاً بدون ملل، كأنه حبيبي منذ زمن.

تلقي هاتف فجأة من العقربة، ففتح عينيه بسرعة، فيما أغمضت عيني وتظاهرت بالنوم.

نظر إلي في دهشة، عجز عن التفكير، كيف كنت في غرفتي وخرجت فجأة أنام بجانبه.

أجاب بعد الرنة الرابعة:

- ألو، أيوة يا كارلا؟.

أغمضت عيني بشدة ورغبت في سد مسامعي عما أسمعه من تلك المكالمة.

رد طارق:

- مامتك جت من السفر خلاص؟ تمام. . .

سكت قليلاً، كانت تحدثه، فأجابها:

- بكرة الساعة 9 بعد المستشفي ماشي، باي يا حبيبي.

أغلق هاتفه ووضعه جانباً، ثم أطرق بالنظر إلي، ولم يقول شيء، نهض من جانبي ودخل غرفته ثم أغلق الباب من خلفه بالمفتاح.

لقد تأكد أنني أشكل خطراً عليه، بالرغم من ذلك لم يطردني من بيته، ولازلت أجهل السبب، يستحيل أن يريد مساعدتي بهذا الشكل، فأنا لا استحق.

في صباح اليوم التالي، كنت في مكاني، أشبه القوقعة علي الأريكة التي تكومت داخل غطاء النوم.

اقتربت كارلا نحوي وكانت تحمل في يدها زجاجة مياه بدون غطاء، رفعتها للأعلى حتى أصبحت فوقي وسكبتها علي.

شعرت بالمياه المثلجة تغرق رأسي وجسدي فانتفضت من مكاني، وتعثرت قدامي في الغطاء حتى وقعت علي الأرض.

ضحكت، وكانت ضحكة سخيفة استفزتني.

استيقظت لأجد كارلا تناديني:

– سارة. . . اصحي يا سارة! اصحي يا ماما.

كان ذلك كابوساً.

فتحت عيني، فكنت في سريري، ولا أعلم ما الذي أتي بى لهنا أو كيف، هل وجودي جانب طارق ليلة أمس كان حلماً أيضاً!؟ لابد وأنني جاوزت الخيال بشكل مبالغ فيه، ولكن لا.

أيقنت أن كارلا تجلس علي حافة السرير جانبي، تضربني علي وجنتي لكي استيقظ. وجدت نفسي جافة ولا يوجد آثار مياه علي ملابسي.

ضممت حاجبي ورحت أعتدل في وضعيتي علي السرير، جلست عليه وسندت ظهري للخلف فيما كانت تدور كارلا في الغرفة وتفتش بين أغراضي في فضول.

فركت عيني بشدة ولم أراها وهي تلتقط ملابسي الرطبة من الأرض.

رفعتها للأعلى بأطراف أصابعها، ثم نظرت إلي.

وقعت عيني عليها فانتفضت من مكاني مسرعة نحوها، وشددت ملابسي من يدها، فضحكت ساخرة:

- ما تتجوزي بدل ما أنتي قرفانا.

رددت عليها بحنق:

- خليكي في حالك.

ربتت علي كتفي:

- تعالي يا ماما ورايا، في شغل كتير هتعمليه النهاردة.

خرجت من الغرفة ورحت أبحث عن طارق في كل الشقة، فلم أجده، وعندما ذهبت للصالة تسمرت في مكاني للحظة كأنني جمدت.

رأيت صناديق كثيرة وأجهزة كهربائية علي الأرض في منتصف الصالة، شخص ما وضعهم في دون نظام.

أطلت النظر إليهم، ولم أشعر بكارلا خلفي.

قالت:

- مش وقت تتنيح.

لففت رأسي من فوق كتفي لأراها تقترب ناحيتي وتقف جواري، فسألتها:

- فين طارق؟.

عقدت ذراعيها علي صدرها وقالت:

-طارق في المستشفي، صحي لقاكي نايمة زي التمساح، عملتله أنا الأكل ومشي، أبقي نامي في بيتكوا يا ماما.

كتمت غيظي وتجاهلت طريقتها في الحوار.

- والحاجات دي؟.

- الحاجات دي هتتفتح دلوقتي وتتحط في الشقة، بس نضفي الشقة الأول، سايبة المكان زريبة من امبارح.

هززت رأسي من الصداع وتوجهت للمطبخ لآكل، فسمعتها تصرخ من مكانها:

- ما ده اللي أنتي فالحة فيه، وربنا لأقول لطارق، بتيجي تطفحي وتاخدي الفلوس وتنامي.

رفعت رأسي من داخل الثلاجة ونظرت لأعلي، صحت فيها بغضب:

- قوليله مش هيعمل حاجة.

- هتشوفي. . . أنا ولا أنتي في البيت المهبب علي دماغك ده.

الفصل السادس والأخير

نفي كريم كل ما قلته وبدا غير مقتنع:

- أنا مش فاهم. . .
- مش فاهم إيه بزبط؟.
- فين التوبة في كده؟.

حدقت إليه للحظة.

- أنت فاكر الموضوع كان سهل؟.

هز كتفيه وحاول أن يبرر وجهة نظره:

- هو مبدأش أساساً عشان نحكم عليه.

نفيت ذلك وقلت:

-بمش زي ما أنت وغيرك متخيلين. . . في اليوم اللي كارلا صحتني فيه ده، أنا رحت بعد ما كلت قولت هفتح الصناديق دي وأشوف فيها إيه وإيه يتحط فين، فسمعتها وهي بتتكلم ورايا علي موبايلها، ألو أيوة يا طارق، أنا مش قولتلك البنت دي مش بتشتغل وبتستهبل. . .

قاطعني:

- كانت عارفة أنك بايتة عنده؟.

صمت للحظة، ثم أجبت في هدوء:

- لأ.

ابتسم ساخراً:

- عارفة كانت ممكن تعمل فيكي إيه لو عرفت؟.

أومأت رأسي:

- للأسف، مش عايزة أتخيل.

- أيوة. . . بس إحساسك ناحية طارق مكنش حب.

- أيوة، عرفت ده بعدين من كلام الدكتورة.

زمّ شفتيه متسائلاً:

- والحب التاني؟.

رفعت حاجبي، وقلت بتردد:

- بدأ بشكل غريب.

- زي؟.

- كان برده في نفس يوم اللي كارلا جت فيه، خلصت توضيب، وفتحت الصناديق ورتبت العفش، وحطيت الحاجات اللي كانوا جايبينها للشقة عشان الفرح قرب، و. . قلت لكارلا أنا ماشية في مشوار للكلية شوية وراجعة.

- قالتلك إيه؟.

- بصت لي ومتكلمتش.

- كنتي رايحة فين وقتها؟.

– رحت لإسلام. . . طارق كان قالي في مرة أنه في الأصل مهندس ديكور بس بطل الشغلانة دي، رحت وقلتله أنا جيالك من طرف أخوك وبتاع، قالي تمام أنا ممكن أشوف الشقة.

– بس أنتي معندكيش شقة.

– ختة علي شقة التجمع، لأني لو رحت الزمالك كنت هلاقي الكالون متغير.

– أها، ودخلتي.

أومأت برأسي:

– دخلت. . . لقيت الشقة مبهدلة، الخمرة علي الأرض وأكل علي العفش، إسلام فضل يبص حواليه مش فاهم حاجة، حس أنه دخل شقة غلط.

ارتسمت ملامحه في ذهني وهو يحاول غض بصره عن الأغراض في الشقة، ثم تابعت:

– دخلت بيه الأوضة، قلت له عايزة أغير الديكور، قعد يصور جوانب وحيطان الأوضة.

– وبعدين؟.

الإحساس الصارخ بداخلي يجعلني أذكر تلك اللحظة بكل تفاصيلها، كنت غبية جداً حينها.

– حاولت أوقّعه في الغلط، بس مستاجبش.

– بس إسلام عصبي، ومجنون.

هززت رأسي وتابعت في تردد:

– عارفة، بس كان له رد فعل غير اللي اعرفه عنه، لقيته بيمشي من الشقة من غير ما يقول أي كلمة.

– وبعديها؟.

هززت كتفي وقلت:

– بعديها روحت علي بيت طارق، بخبط لقيت عيل صغير بيفتحلي، كان احمد، والبيت جوا مليان شربات وزغاريط واصلة لأول الشارع. . . رحت لكارلا حضنتها وباركتلها. اليوم ده أكتر مرة أصمم فيها أني خلاص، لازم أتوب.

– اشمعنة؟.

– من الفرحة اللي شوفتها في عين كارلا ومامتها وأهلهم كلها، كانت فرحة عمري ما حسيتها، حتى لما اتجوزت مكانتش في الفرحة دي، كنت عايزة أكون مكانها، بنفس الفرحة، في الحلال.

ابتسم كريم في لطف.

– دي حاجة حلوة.

أردفت بصوت عميق.

– جداً.

– عملتي إيه عشان تتوبي؟.

– أول حد رحت له كان إسلام، بعد قراية الفاتحة علي طول.

***

ارتديت ملابس طويلة وأكثر احتشاماً عما أرتدي، بالرغم من ذلك عندما دخلت محل إسلام ووقعت عينه علي شعرت أنني عارية تحت ناظريه. نظر لي باحتقار، وأشار لي من بعيد وهو يصيح في بغضب:

- أنتي! إيه اللي جايبك هنا؟ بره، بره.

فضحني في مكان عمله، جعل كل الموظفين والزبائن يتركون ما في يدهم ويحدقون إلي، متسائلين من هذه الزبونة التي يطردها؟ ولم أكن قد فعلت شيء، تسمّرت في مكاني وأخذت طعنات من نظرات الناس لي.

للحظة شعر بالخطأ الذي ارتكبه، هكذا علّمك دينك؟.

نهض من كرسيه ودنا نحوي، كانت خطواته هادئة إلا أنني ارتبكت، جسمي ارتجف من الخوف، لا أريده أن يقلل من شأني أكثر من ذلك فقد جئت لأعتذر.

اصطحبني لمطعم بالطابق العلوي، كانت مطاعم باهظة الثمن، وتعمد فعل ذلك لأن من يدخلها القليل من الناس، فلم يكن جوار طاولتنا أحداً، وسمح لي بفرصة التحدث، قدم لي اعتذار بشكل غير مباشر فلم أتقبله، ثم جاء النادل ووضع لكلينا قائمة الطعام، نظرت للنادل وهو يرحل سيراً حتى اختفي عن أنظاري، كنت أحسب المبلغ الذي أملكه في جيبي لأري ماذا سأطلب.

سمعت صوت رجولي يقاطع صفوة تفكيري، فكان إسلام.

- شوفي هتطلبي إيه.

نظرت إليه وقد تلقي استشعارات القلق من تينك عيني الزرقاوات.

هززت رأسي:

- شكراً.

- خلّصي، هتطلبي وهتاكلي.

أجبرني علي شيء جميل، عاندت معه، لكن بالنهاية طلب لي نفس الطبق الذي سيتناوله، كأنه يريد مشاركتي نفس الطعام.

بعد أن انتهينا من طلب الطعام، وجدته يضم يديه أمامه علي الطاولة وأخذ محور الحديث:

- أنا قابلت بنات زيك قبل كده.

- بنات زيي؟.

وضح لي بشكل غير مباشر:

- بنات بتستغل جمالها كسلعة.

لم يبدو لي من البداية أنه كان يعرف فتيات ليل.

- أنا جاية اعتذر لك وهمشي.

ابتسم.

- أنتي اسمك إيه؟.

بلعت ريقي بصعوبة وأنا أنظر إليه.

- سارة.

حافظ علي ابتسامته وقال:

- اسمك جميل يا سارة.

- شكراً. . .

لاحظ من زاوية عينيه أن هناك بعض الاضطراب في لغة جسدي، لم أكن أريد أن أبقي كذلك، كسرت حاجز الصمت بيننا وقلت:

- أنا آسفة علي اللي حصل أمبارح.

قال بصوت رجولي خشن:

- أنتي أزاي مستحملة نفسك كده؟.

تنهدت تنهيدة عميقة ولم أجيبه، فمال للأمام وتمتم:

- تنديني فرصة أساعدك؟.

ثم تأملني من الأعلى للأسفل:

- وأخرجك من الفوضى اللي أنتي عايشة فيها.

نظرت إليه بهدوء واضح، ولم يخطر ببالي أن هذا سوف يحدث. عجزت عن الكلام فيما بقي يحدثني، قرأ لي بعض الآيات التي تحرم الفحشاء، وكأني لا أعلمها مفهومها، ظنني مثل صديقتي، أحب أن أكون في هذا العمل طيلة عمري، عندما بلغت قالوا لي ارتدي الحجاب ولا تظهري مفاتن جسدك، فطلب مني أن أعلن توبتي، ابتسمت له وهو لا يعلم أنه في صغري بدأت أسلك طريق الليل، ووجدت نفسي بين الموسيقي والرجال، قالوا لي حرام، حرام أن تهز الأنثى جسدها وتتلوي أمام الأعين.

انقبض صدري وهيأ لي ملاك الموت ينتظرني وعلي وشك أن أغادر الحياة، كنت في اللحظات الأخيرة، وجدت صعوبة في التنفس، وسالت دمعة من عيني، أخذت تتساقط علي ملابسي فتمنيت لو أنها مياه كيميائية تحرقني وأتخلص من نفسي.

فشلت في العلاج النفسي، وتخلي عني اقرب الناس إلي فأصبحت وحيدة، وحيدة للآبد.

تتآكل الأحزان قلبي كل لحظة، فأغادر لعالم الموت بمخيلتي وأتصور مدي بشاعة العقاب وما ينتظرني في الحياة الأخرى، وأشعر بجسدي يبرد ويرتجف، ول أطرافي تجمد حتى أعجز عن الحركة من سريري، تلك المعاصي التي ارتكبتها تتثاقل من فوقي فتهمدني أرضاً، إلي أسفل الطبقات، وإذا كانت حياتي مريضة بهذا الشكل؟ فما بال الآخرة؟.

كنت مغرقة في دموعي وأختطف أنفاسي بمنتهي الصعوبة، فلم أتحمل سماع المزيد من كلمات تأنيب الضمير، وأردفت أقاطعه لئلا يتابع:

- كفاية يا إسلام، حرام عليك.

انفجرت في البكاء. نهضت من الكرسي وأنا أقول بنبرة مكتومة:

- أرجوك كفاية، أنا همشي.

شدّني من ذراعي بسرعة، وصاح:

-استني يا سارة!.

نظرت إليه بعيني محمرتين، وقد ابتعدت عن المطعم، فراح يتبعني، لكنني أسرعت في خطواتي، ونظرت خلفي لأجده لا يبعد عني، كان قريباً وحاول اللحاق بى، فأمسكني من يدي وشدّني بقوة، لفني نحوه، فنظرت له بعينين ملؤها الخوف.

بقيت مشوّشة وأنا بين يديه، أنظر حولي كالطفلة التائهة وأسأله:

- أنت عايز مني إيه؟.

- استني، خلينا نقعد ونتكلم.

في الواقع، لم أكن أريد المغادرة، فلم أنوي للرجوع إلي شقة طارق، أردت تركه سعيداً مع خطيبته فتمنيت له حياة سالمة من المشاكل

سحبني إسلام إلي المطعم مجدداً، شعرت بالسخف من نفسي، هذه المرة الثانية التي ألفت الانتباه في مكان عام. لاحظ بطرف عينه النادل وهو يأتي من داخل المطبخ حاملاً طبقين ملأهما بالطعام.

وضعت الأطباق أمامي وقد اتسعت عيني، كانت رائحة اللحم المشوي تفوح منه إلي جانب المعكرونة التي أغرقت بالجبن، ففقدت السيطرة علي نفسي وسحبت الشوك والسكين من كيس جانب الطبق، ثم هممت بتقطيع شريحة

اللحم، ولم ألاحظ نظرت إسلام لي، كان مبتسماً وعينيه تتأملاني بين اللحظة والأخرى.

بلعت قطعة من اللحم ثم حدقت إليه، فأبعد أنظاره عني وتبع في تناول الطعام.

قلت بصوت ملؤه الحزن جعله ينتبه إلي:

-أنا في العادي لما بجيب أكل في فلوسي بروح المستشفي بعدها بيومين أو تلاتة.

قطّب حاجبيه:

- عشان مال حرام؟.

سلبت يدي علي حجري واعتصرت أصابعي في بعض. همست:

- عشان مال حرام.

عاد ليأخذ معكرونة في الشوكة ووضعها في فمه، ثم مضغها. أطلت النظر إليه إلي أن بلعها، ثم أقترح علي:

-أنا ممكن أشغلك عندي يا سارة، أنتي وشك حلو، وممكن تلفتي الزباين، وأكيد شغلانتك علمتك إزاي تجُري اللي قدامك.

نظرت إليه متسائلة:

- عايزني أعمل إيه؟.

- تشتغلي! يعني هتعملي إيه؟.

لم يكن العرض مغري بالقدر الذي يتخيله.

أومأت رأسي، ثم سألته:

- والمرتب؟.

- هديكي ألفين في أول شهرين، مشيتي معايا كويس هزودك.
- ايوة تزودني كام برده؟.
- خمسمية، متبقيش طماعة.
- أنت عارف أنا كنت باخد كام في الساعة؟ ألفين دولار.

هز رأسه وانتقل بعينيه للطبق.

-أنا ميهمنيش كنتي بتاخدي كام، أنتي هنا زيك زي أي موظف تاني بيشتغل عندي.

أومأت رأسين ولم يعني هذا بالموافقة، كان كل تفكيري بالبيت الذي سأجلس فيه لبقية اليوم، فهل بيده أن يساعدني بهذا الأمر؟.

- بس ده قليل أوي.

تنهد، وقد بدا أن صبره نفذ مني.

-فكري يا بنت الناس، عايزة الرامية في الشوارع ولا تقعدي في بيتك معززة مكرمة.

كان يظن أن شقة التجمع الخامس هي شقتي، فصححت له:

- أنا معنديش بيت.
- نعم؟!.

فتحت فمي، ثم وضحت له:

- أيوة معنديش بيت، اتطردت من كل البيوت.
- أمال كنتي قاعدة فين؟.
- لا. .

راود في ذهني طارق، لكنني فضلت بألا أخبرهن فتابعت بتردد:

- بقولك أطردت.

هز رأسه وقد فهم الرسالة المبطنة.

- ماشي.

اعتقدت أنه سيجعلني أبيت بمنزله، فلم أري أي دبلة في يديه.

أضاف:

- عندي أوضة جوا المخزن بتاع المحل، هوضبها لك تقعدي فيها.

ضاقت عيني، أزادت الأمور سوءاً، ظننت أنه كان يمزح في البداية، لكنه كان يتكلم بصدق، بالفعل أدخلني المخزن، ومررت بين الموظفين، قدم أمامهم اعتذار، فشعرت بالسعادة وقد أستعد ثقتي بنفسي أمامهم.

سرنا لآخر المحل، ففتح لي باب خشبي بدا قديماً وما خلفه مظلم، نظرت إليه متسائلة، فسبقني بالدخول وتحسس بيده الحائط ليضيء النور بالداخل، وكان نوراً خافتاً أي لا يسمح حتى بالقراءة داخله.

عدّل الأرض وأخذ من جانبه سجاد ملفوف ليفرده أمامه، فأنتفض من تحتها سحابة من التراب كثيفة، سعلت بعدها وتراجعت خطوات للخلف.

ألتفت إلي وهو يرمش بعينيه:

- واضح أنهم مكانوش بينضفوا المكان هنا.

سعلت بشدة ولم أقاوم البقاء في ذلك القبو الذي يدعي أنه مخزن، خرجت منه، فلحق بى.

وقفنا خارجه، ولم أستبعد أنه لا يعلم سبب هذا الغبار الموجود بالمخزن، فبدا أنه لا يتنقل من كرسي مكتبه كثيراً.

ما كان علي سوي القبول بهذا الوضع، لكنني لم أشعر بالرضا رغم كل هذا، لقد ألتزم في وعوده معي وأعطاني ألفين جنيه في بداية أسبوع عملي. طلب من الموظفين أن يقوموا بتنظيف المخزن، وصاح فيهم، أنتم مهملون، كيف تتركون المخزن بهذه القذارة؟! فوقف الموظفون يستلمون منه صيحات الانفعال حتى امتصوا كل غضبه، وأسرعوا فوراً بالدخول إلي المخزن وبحثوا عن أدوات التنظيف داخله. ما إن ألفتت إليه لأحدثه لم أجده جانبي، قد ذهب إلي حيث مكتبه، جلس خلفه، واستمتع بمراقبة الزبائن وهم يدخلون ويخرجون، حتى وإن لم يشتروا شيء.

في أول يوم لي وقفت مع أشرف، عرفني إسلام عليه وقال عني كلام ليس فيّ، لكنه كلام مديح أعجبني في الواقع.

- كم كان عمرك وقتها؟.

- اذكر أنني كنت في الثانية والعشرون، وكان إسلام في الخامسة والثلاثين، وفرق الثلاث عشر سنة لم يهمني أبداً.

- حاولتِ إغواءه مرة آخري؟.

- كلا، قلت لك سابقاً يا كريم، ما أعجبني في أخوتك أنهم أصحاب مبدأ، امتنع كلٍ منهم في التقرب مني، رغم استيائي من ذلك، لكن، كان من المفترض أن يحدث هذا.

أردف بهدوء:

- لماذا؟.

- كثيرون لا يصلون لمرحلة المبدأ.

- في أي مرحلة أنتِ؟.

– الأنانية. أريد كل شيء لنفسي، وإذا تجاوزت هذه المرحلة، فأنا سأتجه بتفكيري لمن حولي، من أسرتي وأصدقائي، ثم أفكر بالمجتمع، ثم بالناس كلها، إلي أن أصل لآخر مرحلة، الإنسانية، أصحاب المبدأ.

– أنتِ جميلة.

ابتسمت.

***

بعد العمل لعشرة سنوات في عالم الليل، وتفوقت علي كل الفتيات في شارع الهرم، هذه أنا، أنثي صارخة الجمال، وجهها أخذ شكل القلب، كأنه صمم خصيصاً لجذب الرجال نحوها.

اقتربت من الموت بعد أن صارعت السرطان طيلة العشر سنين، وها أنا أمامك، جالسة علي مكتبك بكل ثقة، أتيت بقدمي إليك، فلم تستطع أنت وطاقم الشرطة خاصتك أن تمسك بى.

حدّق الشرطي إلي بوسي في تحدي.

وضعت ساق فوق الأخرى، ورفعت رأسها قليلاً لتمتم بتعالي:

– أدعي بعشرين اسم، لكن لا أحد يتلفظ اسمي الحقيقي. . .

– ماذا تريدين؟.

– جئت لأسلّم نفسي بعد أن صارعت المرض.

– بأي تهمة؟.

– التحريض علي الفسق.

أكد عليها الضابط:

– أنتِ تعنين ما تقولينه؟.

- أعني ذلك، وبشدة.

ألتف الضابط لضابط آخر جانبه، ثم قال:

- ما رأيك؟.

هزَّ كتفه، وقال:

- لا تثق في فتاة ليل قبل أن تبلغ عن غيرها.

***

عالم الليل غامض، وسيظل مبهم، مهما سمعت عنه فأنت لا تعلم شيء إلا عندما تدخله، وفي عالم الليل، الدخول لا يتبعه عودة للحياة الطبيعية، بمجرد أن تتخطي بوابة عالم الليل فعليك أن تنسي إنسانيتك، وتعيش وسط بشر علي أنك حيوان، يأكل ويشرب ويمارس الجنس وينام. في عالم الليل، أنت تعيش حياة بدون مشاعر، في عالم البقاء فيه لأجل المادة، حياتنا خارجة عن طبيعة البشر، مهما حاولت معهم لن يرتقوا.

- وما الحل يا سارة؟.

- أنا لا أدعي سارة.

سيظل البشر حيوانات في هيئة كائن راقي يقف علي قدمين وليس أربعة، البعض يفضلون الحياة بهذا الشكل، أنت لا تعلم كم الألم الذي تألمته في حياتي.

- أعلتني توبتك؟.

- حاولت. . .

- وكيف كانت النتيجة؟.

- طلب مني ذلك.

بعد نصائح عديدة تلقيتها منه، وتعليقات سخيفة علي الملابس الضيقة والغير محتشمة، كنت أتشاجر معه كثيراً، لكنه يحاول تهدءتي في النهاية، وما إن يبتسم كنت أفقد صوابي. بعدئذ يصطحبني للمحلات ويشتري لي ملابس طويلة، كنا نتجادل بالفعل أمام أصحاب المحلات، لكن لم أهتم، فكانت الملابس طويلة للغاية، حتى اعتدت رداؤها، وكانت تصل للركبة.

- ومشيتي بها وسط الناس.

أومأت رأسي بابتسامة:

- أجل، وأخذت وقت حتى أعتاد علي مظهري الجديد.

في الأيام العادية كان الكلام بيننا قليل، وغالباً كلام رسمي جداً، ولم يكن من نوعية الرجال التي تقيم حفلات، كان في الأجازات يفضل السفر لبيته الخاص بالإسكندرية، يسمع فيروز، ويشاهد تقلبات البحر، فكنت أتصل به أدعابة، لكن سرعان ما يحول الاتصال لمكالمة عمل، كنت أغضب، لكن أعتدت علي هذا.

بعد عودته من الإسكندرية، رجع للعمل نشيطاً ومنفتح مع كل الموظفين. سألته عن السبب، فرد:

- مبسوط، وعايز أكلمك في موضوع بخصوصك.

- امتة؟.

- دلوقتي، ده موضوع مهم.

راح يجلس علي مكتبه، فتبعته، ونظر إلي قبل أن يجلس علي كرسيه:

- شدي كرسي.

سحبت كرسي من أمام المكتب وجرته خلفي، ثم جلست في مقابله.

مال للأمام وابتسم قائلاً:

- سارة، مش بتفكري تتوبي؟.

ضممت حاجبي في استغراب:

- إزاي يعني؟.
- يعني تغسلي كل الذنوب اللي عملتيها.
- مانا فاهمة. . . التوبة هتكون إزاي!؟.

أومأ رأسه متفهماً.

- آه بصي. . . لازم الأول نتأكد أنك كنتي بتعملي كده.

قصد النتائج الطبية، فتابع:

- ولازم تعترفي أنك كنتي بتعملي كده.
- أعترف قدام مين!.
- قدام الشيوخ، شرط أربعة من رجال صالحين.

الأمر ليس بهذه السهولة، أكرر.

بدا أن إسلام لم يكن لديه العلم الكافِ بشروط التوبة، فالعبد يقسط من عين ربه عند ارتكاب الفحشاء، وعقاب الزنا إقامة الحد، فقلت له سأفكر بالأمر، وجلست في ذلك القبو، أعيد كل حساباتي بالأمر، فوافقت بالفعل، لكن لم أكن أعلم بأمر إقامة الحد.

كانت من شروط التوبة الحقيقية الإكثار من الطاعة والتقرب من الله، الالتزام وأداء الفروض، وكان هذا صعباً في البداية، لكنني عملت عليه في بدايات يومي.

- وكيف كان شعورك وقتها؟.
- شعرت براحة نفسية كنت أجهلها من سنين مضت.

- وبعدها؟.

- بعدها حصل أمر لم أتوقعه.

كان ذلك بالمكتب، صباح أحدي الأيام العادية في أيام الله، العمل يسير بشكل جيد، دخل وفتح المحل، ثم طرق علي باب المخزن حتى فتحت عيني وقمت من السرير الصغير الذي اشتراه لي.

قلت من الداخل:

- ثواني.

ارتديت ملابس العمل الرسمية، وسويتها جيداً، ثم خرجت لأجده جالساً علي كرسي مكتبه.

من الليلة السابقة وأنا أحضر له موضوع أريد أن أفتحه معه، دنوت من مكتبه، ووقفت أمامه لأضع يدي علي طرف المكتب، فنظر إلي متسائلاً:

- إيه يا سارة؟.

عضضت علي شفتي.

حاولت كتم مشاعري لكنني لم أستطع فعل ذلك كثيراً.

كان ينظر لي بغرابة، ويريد مني جواب في الحال، لكنني سأهرب منه بطريقة أو بآخري، فعاد يكرر سؤاله:

- سارة مالك؟.

أشتد خفقان قلبي بشكل جنوني، شعرت أن قلبي سينفجر وقتها، وترددت كثيراً في إخباره ذلك. هذه المرة الأولي التي أشعر فيها بارتباك وأنا أفصح عن مشاعري ورغبتي تجاه أحدهم، فكثيراً ما أخاطر بفعل ذلك، لكن أكتشف أنه ما من سوء.

تنهدت قبلها.

- تتجوزني؟.

- أنتي بتخرفي تقولي إيه!؟.

جاء ردّه سريعاً، وجاء غضبي سريعاً أيضاً، لكن سرعان ما عيني امتلأتا بالدموع.

***

- وماذا فعلتِ بعدها؟.

- ذهبت لنور.

- نور؟.

- في ليلتها. . . ذهبت إليه، وأقمنا الجنس سوياً.

- ماذا عن ياسمين، وقضية قتل الرجل بالفندق؟.

هززت رأسي وتابعت في بطء.

- ليس لدي فكرة. . . لكن تلك الليلة لم أنساها، ظل يهمس باسمها قرب أنفاسي.

- وماذا فعلتِ أنتِ؟ غضبتي بالتأكيد.

ابتسمت ابتسامة واسعة.

- كلا، قضينا وقتاً رائعاً.

نهض كريم من مكانه، ثم قال:

- حسناً، علي أن أغادر.

نظرت إليه مطوّلة.

- ما أخبار طارق؟ مرّت تسع سنين لم اسأل عليه.

- أعتقد أنه بخير.

- بعد زواجه من كارلا كنت اتصل به كل يوم، اطمئن عليه، وبدأت اتصالاتنا تنقطع، فأصبحت اكلمه كل شهر مرة.

عند مغادرتي منزل نور، أردت أن ابدأ حياة جديدة، بشخصية جديدة، لكن، الحقد ملئ قلبي، وأردت الانتقام منك، ومن عائلتك، وما لحقتا بى من ضرر نفسي.

إذن لم يكن هذا حب.

كلا.

كم مرة وقعتِ بالحب؟.

ولا مرة، لا يمكن للإنسان أن يقع في الحب بعقله، دائماً ما ستجد جفاف في العلاقة، ورغبة في إشباع الغرائز، حياة الحيوانات هذه أردت توديعها.

لكنك، قلتِ أنك تسكنين في شقة تمارس الدعارة.

عزيزي كريم، لقد ناولتك مياه مذابة مع حبوب منشطة هذه الحبوب تعمل بعد ساعة من تناولها، وأنت تناولت حبيتين، أي أن التأثير سيكون عليك الضعف.

لِمَ قد تفعلين بى هذا؟.

قلت لك، أنت لا تشعر بالألم داخلي.

سيقولون عليك مجنونة، أوقعت صحفي في الخطأ، بعد أن فشلت في إيقاع أخوته.

وارتجف جسده عندما رفع أنظاره إليها. جذابة هي، وضعت له شيئاً جعله يفكر بهذه الطريقة. أحس بتوتر عندما اقتربت منه، شعر برغبات جسدية نحوها.

من البداية لم يكن كريم ضيف مرحب به في المنزل، وكانت تريد أن تصطحبه لبيتها لأجل ذلك السبب، لم تنسَ ما سببه لها أخوته من جرح، بالرغم أنها المخطئة، وكانت تعلم ذلك.

أنا موجودة بينكم، أعيش وسطكم، تروني كل يوم، لكن لا ترون هيئتي الحقيقية.

آسفة يا كريم، سألتقط لك صوراً وأنت بهذا الوضع وأحفظها عندي، ولتنسَ أمر المقال الصحفي. جاري مسح كل ما سجّلته.

لم أظن أنك غبي لهذه الدرجة، لا توجد فتاة ليل تفصح عن أسرارها.

عندما تفيق من نوبتك الحيوانية هذه، ارحل من بيتي، ولا تفكر بكتابة مقال، وانسَ أمر الترقية، فالصحفي قليل الحيلة لا يستحق ترقيات.

أجعلها رواية يقرءوها الناس فيندمجون في أحداثها، لعلّهم يشعرون بعالمنا والصعوبات التي نواجهها كي نظهر ونعيش طبيعيين وسط البشر كل صباح. . . أجعلها أحداثاً مختلطة، فلا تكشف هويتي، ستنسي جزءاً مما حكيته لك، فضمّ خيالك، لعلك تنجح في مجال آخر غير الصحافة.

الاقتباسات والمراجع

كاثي ويليامز؛ *أتحداك*؛ روايات أحلام؛ شركة الفراشة؛ القاهرة؛ 2008.

خالد الذهني؛ *سيزيرين*؛ المصري للنشر والتوزيع؛ القاهرة؛ 2015.

ترافيس براديبري؛ *الذكاء العاطفي 2.0*؛ 2015.

حمودة إسماعيلي؛ *العقد النفسية الأكثر انتشاراً في العالم*؛ القاهرة؛ 2015.

(CBT); (20th Nov.,2015); Dr. *Amani Safwat;* Psychology; Future university; Egypt.

أشهر 50 خرافة في علم النفس؛ القاهرة؛ دار كلمات؛ 2015.

Neurology And Neurosurgery Illustrated; Fifth Edition; 2008.

أوشو؛ *الإبداع*؛ 2015.

للتواصل مع الكاتبة.

https://www.facebook.com/profile.php?id=100005517256819

email: writer3397@hotmail.com

تتبع رواية فتاة ليل في الجزء الثاني من الرواية تحت سلسلة الضياع،

برواية جديدة.

الفساد.